الليبرالية

عصارةٌ من الكتاب المقدس
ربانية البروتستانت وشريعة لهم

دراسة وثائقية



جمال الدين فيلالي

الليبرالية

عصارةٌ من الكتاب المقدس

ربانية البروتستانت وشريعة لهم.

دراسة وثائقية

جمال الدين فيلالي

إلى صغرى بناتي: كلثوم

عسى أن تثبت على ألاّ طاعة لمخلوق في معصية الخالق

فتفلح بالارتقاء الذي آمله لها أباً.

كتابي هذا لثالث سبعة شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني في « أزهار الرياض التلمسانية »:

« المقصود بالتأليف سبعة: شيء لم يُسبَق إليه فيُؤلَّف، أو شيء أَلِّفَ ناقصا فيُكَمَّل، أو خَطأٌ فيُصَحَّح، أو مُشكِلٌ فيُشرَح، أو مُطَوَّلٌ فيُختَصَر، أو مُفْترِق فيُجَمع، أو مَنثور فيُرَتَّب ».

جمال الدين فيلالي. **١٤٣٤ هـ**

djamel-filali@hotmail.com
fylely@gmail.com

كتاب للتفكّر

هذه الصفحات وليدة الانشغال بقضية ما أسميه تمنّع الارتقاء عن المسلمين. نظر فيها منذ أجيال أمير البيان في كتاب فرغ منه في ثلاثة أيام وسمه بعبارة « لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم » وقد دفعني والدي رحمه الله إلى قراءته وأنا في مرحلة الطفولة؛ فكان ما أحسب أنه ربطني بالانشغال بالقضية التي أقف اليوم عند وجه منها هو " أن يكون للمسلمين مثل ما للغربيين من الارتقاء إذا هم اتبعوهم في أسبابه ".

وإذ كانت الليبرالية هي مسلك طلائع الغربيين إلى الارتقاء الذي نرى عليه بلداناً ودولاً لهم؛ فقد اقتضى السؤال النظر في كتابات النصارى المرجعية أو "الأصلية" في الليبرالية.

كشف هذا المسلك إقرار الغربيين في كتاباتهم أنه ثبت لهم تَعَذُّرُ الجمع بين ما يملي عليهم "الكتاب المقدس" وبين تسيير شؤون الدنيا بتسيير دولة. كشف هذا المسلك ايضاً عدم تفريط قادة الفكر منهم في نصرانيتهم أو في "مسيحيتهم" وكشف عدم إهمالهم "الكتاب المقدس".

الوجه الآخر من السؤال عن منفذ المسلمين للارتقاء إن هم اتّبعوا سبيل الغربيين، اقتضى النظر في كتاباتٍ إسلاميةٍ عربيةٍ عن الليبرالية، فانكشف أنّ مؤلفيها حرّفوا ماوجدوا عند الغربيين وما نقلوا عنهم؛ يتقدم ذلك تحريف إقرار الغربيين بموقع اللاّهوت والدّين من الليبرالية: إقرار تُعرض عنه كتابات المسلمين بالتمنّع عن ذكر الدِّين أساساً من أسس الليبرالية، ووجها من أوجهها، وخلفية عميقة من خلفياتها.

لتكن هذه الصفحات مادة تدبّر وتفكّر بين المسلمين.

آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

قسنطينة بالجزائر في محرم ١٤٣٤ هـ - خريف ٢٠١٢ م.

السؤال الذي ننظر فيه مجدداً والذي ورد في الرسالة التي أجاب عليها كتاب « **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم** » هو:

« ما الأسباب التي ارتقى بها الأوروبيون والأمريكانيون واليابانيون ارتقاء هائلاً ؟ وهل يمكن أن يصير المسلمون أمثالهم في هذا الارتقاء إذا اتبعوهم في أسبابه مع المحافظة على دينهم « الإسلام » أم لا ؟ ... »

« هل يمكن أن يصير المسلمون أمثال (الغربيين) في هذا الارتقاء

إذا اتبعوهم في أسبابه ... ؟ »

القسم الأول

الليبرالية عصارةٌ من الكتاب المقدس
ربانية البروتستانت وشريعة لهم

نصوص مستترة في كتابات فلاسفة الليبرالية

قبل النظر في خلفيات الليبرالية [(١)]

جُونْ مِيلْتُونْ *J. Milton* و جُونْ لُوكْ *J. Lock* وجُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ *J. Stuart Mill* وطُومَاسْ جِيفَرْسُونْ *T. Jefferson* أدباء وقادة أو فلاسفة وسياسيون تقترن أسماؤهم بين المسلمين العرب بالكتابة في الليبرالية وبرسم معالم الحرية [(٢)]. يجادل المسلمون بعضهم بعضاً في خيريةٍ في كتابات هؤلاء بينما بين هؤلاء من سبق إلى الإقرار بخيرية الإسلام؛ وبينهم مَن كتب في التأسيس لمجتمع جديد وكشف عن سبب اقتصاره على الكتابة للنصارى دون للمسلمين؛ فكانت لهذين الحجة البالغة على المسلمين.

جُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ: شاهد بخيرية الإسلام.

أفصحَ جُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ أنّ مبتغاه الرئيس من رسالته الموسومة « في الحرية » هو تأليف نظام أخلاقي كامل لمن يسميها « الأمم الراشدة »؛ كما أفصح أنّ أمر « الأمم الوثنية الراقية » لا يعنيه.

---

(١) تسجيل هذه الآراء ليس ذخراً للتفاخر بل وقوفاً على آراء "آباء" الليبرالية وعلى ما هم عليه من الإسلام.

(٢) يعرض الملحق الأول لفلاسفة الليبرالية بأقلام مؤلفي كتب عيّنة البحث؛ ويعرض الملحق الثاني لتحويل كتابات أساتذة الإعلام عرباً ومسلمين جُونْ مِيلْتُونْ، من شاعر الكتاب المقدس أو من شاعر كتابي إلى « فيلسوف ».

أقرّ في رسالته أنّ الواجبات الاجتماعية لدى مَن سمّاها « الأمم الوثنية الراقية » في أرفع منزلة من الاعتبار وأنّ الآداب « المسيحية » لا تكاد تشعر أو تعترف بالواجبات عينها.

أوضحَ أنَّ « الأمم الوثنية الراقية » هي أمم المسلمين وزاد فأقرَّ أنها أممٌ تَضْمَنُ الحقوق الشخصية والحرية الفردية.

إنّ جُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ وهو « أبو الليبرالية » وَجَدَ في الإسلام ما يستدِلّ به على بني ملته: فقد كتب لهم في رسالته، ولمّا يكن هنالك بعد للمسلمين حديث عن نهضة، أنه يقرأ في آداب الإسلام الكلمة الجامعة التي استدل بها في أنّ المسلمين يمسكون بالقاعدة التي تقوم عليها دولة القانون؛ كتب: وها نحن نقرأ في آداب الإسلام هذه الكلمة الجامعة: «كلّ والٍ يستكفي عاملاً وفي ولايته من هو أكفأ له، فقد خان عهد الله وخلًيفته » (١).

(١) في الحرية؛ جون ستيوارت ميل. مطابع شركة الإعلانات الشرقية. سلسلة "إخترنا لك" رقم: ٦٤. ص : ٩٣.

جُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ:
سعى إلى تأسيس الإباحة في الرأي، أياًّ كان.

الحرية في رأي جُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ هي إطلاق العنان للناس ليحققوا خيرهم بالطريقة التي يرونها طالما كانوا لا يحاولون حرمان الغير من مصالحهم، أو كانوا لا يعيقون جهودهم لتحقيق تلك المصالح.

دعا في رسالته إلى الحرية لبني ملّته في رسم الخطة التي يسيرون عليها في حياتهم بما يتفق مع طباعهم دون أن يقف في طريقهم أحد حتى وإن دلّت تصرفاتهم على السخف أو السفه أو الخطأ (١).

إنطلق في تقدير صواب الرأيِ وخطأه من افتراض أنّ الناس جميعاً اجتمعوا على رأي واحد وأنّ فرداً واحداً خالفهم بتأييد رأي مخالف.

صاغ جدليةً في الصواب والخطأ أقامها على افتراضاتٍ في تأسيس انتفاء ما يبرر إسكات الناس لهذا الفرد، وقرر انتفاء ما يبرر قيام الفرد بإسكاتهم إذا أتيح له ذلك (٢).

جعل الافتراض الأول في الرأي الذي يريد الناس كبته أنه رأي صائب وجعل مخرجه أنّ الذين يريدون كبته قد حُرموا من فرصة يستبدلون فيها "الباطل بالحق".

جعل الافتراض الثاني في الرأي عينه أنه رأي خاطئ وجعل مخرجه في أنّ الذين يريدون كبته سيُحرمون من فرصة الازدياد من التعرف على "الحق" بشكل واضح حيوي ينتج عن مقارنته بالخطأ.

اقتصر هنا على الجانب الصوري: فإجاباته لا تحمل معيار الحكم على صواب الرأي أو خطأه في هذين الافتراضين اللذين يؤسس عليهما كتّاب

(١) في الحرية؛ ص: ٢٧.

(٢) في الحرية؛ ص :٣٤.

عرب ومسلمون فلسفة في الحرية منسوبة إلى جُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ.

طرح افتراضين وقرّر انتفاء مبرر إسكات الرأي الذي قال إنه خطأ، غير أنه عاد يجزم أنه لن يكون في المقدور التأكد من زيف الرأي الذي يراد إسكاته، ثم أدْبر يقول: حتى لو تأكدنا من أنّ الرأي زائف فإنّ إسكاته سيكون شراً مستطيراً.

أبقى الطرح صورياً وأبقى الحكم على الرأي دون معيار وانتقل من الرأي إلى الناس. افترض أن يكون الرأي المراد كبته بالقوة رأياً صحيحاً ليقول أنّ مَن يرغبون في إخماده سوف ينكرون صحته، غير أنّ جُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ أقرّ أنّ هؤلاء أنفسهم معرّضون للخطأ إضافة إلى أليس لهم السلطة التي تتيح لهم تحديد هذه المسألة بالنسبة للناس [للنصارى فإياهم يحدّث] وأليس لهم سلطة منع كلّ شخص آخر من إبداء حكمه فيها [1].

يدعو وجهُ افتراضه الآخر بدوره إلى تدبّر: فإذ افترض أنّ الذين يرغبون في إخماد الرأي تأكدوا من أنّ الرأي زائف قال إنّ رفضهم الاستماع لهذا الرأي يفترض أنّ يقينهم يقينٌ مطلقٌ.

انتقل في افتراض آخر من رفض الاستماع إلى حرية المناقشة واقتصر فيه على أنّ كبت حرية المناقشة معناه افتراض عدم الوقوع في الخطأ.

أخيراً فإذ وجد أنّ له فيما عرض « دليلاً قاطعاً » يكتفي به، كتب: وتكفينا هذه الحجة دليلاً قاطعاً... على خطأ القائلين بتقييد حرية الفكر والمناقشة [2].



---

(١) كان جُونْ مِيلْتُونْ كتب قبل قرن كامل أنه لا يمكن لإنسان ولا لمجموعة من الناس (الكنيسة ؟) أن يكونوا بالنسبة لأيٍّ مسيحي آخر، الحَكَمَ ... وأنه لا يكون أحد كذلك إلاّ مع نفسه.
Christopher Hill: Milton and the English Revolution ; p. 152.

(٢) في الحرية؛ سبق. ص :٣٤-٣٥.

جُونْ لُوكْ :
تمنّع عن الانشغال في كتاباته بالمسلمين، لأنّ في القرآن مرجع لهم.

أوضح جُونْ لُوكْ أنّ الدّين الذي دعا إلى فصله عن الدولة هو كلّ دين « مسيحي » أو كلّ ما دان به « مسيحيون » أو كلّ ما ذهب فيه « المسيحيون »، لا غير! إنّه لم يهتمّ بغير هؤلاء ولا اهتمّ بغير كنائسهم ولا اهتم بغير مذاهبهم في الدّين.

إنّ جُونْ لُوكْ الذي ما فتيء مسلمونَ يتخذون من كتاباته مرجعاً في التأسيس لمثل فكرة فصل الدّين عن الدولة أو فكرة أهداف الحكومة أوضح أنّ تحليلاته لا تعني المسلمين في شيء لسبب بسيط دلّ عليه، هو أنّ للمسلمين كتاباً لهم، غير الكتاب المقدس الذي قرأ فيه أو استخلص منه لزوم الفصل بين الدّين والدولة.

إنّ ما يتمنّع المسلمون عن الإقرار به هو أنّ هذا الذي احتكم في ما كتب إلى الكتاب المقدس، يدعو المسلمين إلى الاحتكام إلى كتابهم وقد سمّاه بلفظه العربي: القرآن (1).



(1) Epistolae on Tolerancia ; John Lock. - Lettre sur la tolérance ; John Locke.

إنّ جُونْ لُوكْ لم يقتصر على إبعاد المسلمين عن مشاغله، بل اليهود أيضاً. فقد كتب: ما قالته شريعة موسى ... لا يلزم المسيحيين بأيّ حال من الأحوال وكتب: ليس لك أن تفرض على جميع الناس ما شُرّع لليهود. أكد في ذات السياق أنّ أيّ قانون لا يُلزِم أحداً غير من وضع لهم هذا القانون، واستدلّ بأنّ عبارة إسمع يا إسرائيل ! في الكتاب المقدس، عبارة تَقْصُرُ على اليهود وحدهم الالتزام بشريعة موسى، وأنّ القوانين التي وضعت لذلك الشعب كانت قوانين مدنية وجزءاً من حكومته السياسية فيها كان الربّ نفسه هو المشرّع. أكد أيضاً أنّ مجتمع اليهود كان يختلف كلّ الاختلاف عن غيره من المجتمعات، من حيث أنه أسس على الدِّين وكان دولة دينية. قال توضيحاً وفي استرسال: ولم يكن هناك، ولم يكن ممكناً أن يكون هناك، أيّ تمييز بين الكنيسة والدولة، كما هي الحال بعد ميلاد المسيح. « رسالة في التسامح » بتصرف؛ ص: **١٢٤**.

الليبراليون: حولوا خصامهم مع الكاثوليكية إلى الإسلام

كتب فْرَانْسِيسْ فُوكُويَامَاَ *Francis Fukuyama* في سياق تصور معالم نهاية التاريخ من حيث اقترانها في كتاباته بالنظام الليبرالي الذي اتخذ من معاداة الإسلام والمسلمين بديلاً عن معاداة الكاثوليكية [١] قال أنّ: الإسلام يشكّل نظاماً ايديولوجياً آخر متماسكاً، شأن الليبرالية والشيوعية، وأنّ له نظامه الأخلاقي وعقيدته في العدالة السياسية والاجتماعية.

أضاف أنّ دعوة الإسلام ذات طابع "شمولي" وأنها تتوجه إلى جميع الناس؛ وأنّ الإسلام هَزَمَ في الواقع الديمقراطية الليبرالية في أجزاء متعددة من العالم الإسلامي وأنه يشكّل تهديداً كبيراً للممارسات الليبرالية، حتى في البلدان التي لم يتمكّن فيها مباشرة من السلطة.

رأى أنه إذا كان هناك مليار من الناس أو خمس البشر تقريباً ينتمون للثقافة الإسلامية، فإنهم لن يتمكنوا من منافسة الديمقراطية الليبرالية في عقر دارها في مجال الفكر، وأنّ العالم الإسلامي قد يبدو على المدى الطويل أكثر تعرضاً للأفكار الليبرالية مما هو العكس، لأنّ لهذه الأفكار عدد كبير وقوي من المؤيدين في العالم الإسلامي تعاقبوا على مرّ السنين المائة والخمسين الماضية.

رأيه في أسباب ما سمّاه « التجدّد الأصولي » الراهن أنها تعود في جزء منها إلى « قوة التهديد الذي تمارسه قيم الغرب الليبرالي على المجتمعات الإسلامية ».

---

(١) فْرَانْسِيسْ فُوكُويَامَاَ؛ نهاية التاريخ والإنسان الأخير. ص: ٧١.

الليبرالية ربانية النصارى البروتستانت

تُخبر المراجع الغربية العامة أنّ الليبرالية نظريةٌ لا تتدخل الدولة بموجبها في العلاقات الاقتصادية، وأنها في السياسة مذهب يُقرّ للدولة بسلطة ويُبقي للمواطنين قدْراً من الاستقلال الذاتي على الدولة حمايته؛ و تعني في وجه آخر منها التسامحٍ مع الغير (١).

تُخبر مثل هذه المراجع أيضاً أنّ الليبرالية مذهبٌ اقتصاديٌ السوقُ مرجعه الوحيد، يستند إلى المبادرة الخاصة والمنافسة الحرّة؛ وأنها فلسفة سياسية تكفل الحرية.

تضيف هذه المراجع أنّ ضبط تعريف يشمل الليبرالية شمولاً لا لبس فيه، أمرٌ عسير بفعل تعدد مصادر الليبرالية أومنابعها؛ وأنّ في ذلك مكمنُ الغرابة التي ينفرد بها مسمّى الليبرالية (٢).

تتيسّر الإحاطة بكنه الليبرالية في مثل الكتاب الموسوم « أبجديات البروتستانتية » الذي أوضحَ معنى الليبرالية وقد أَجمل دلالتها في أنها « فضاء لاهوتي » (٣) فجعل الليبرالِية اسماً اصطلاح على فضاء لاهوتي يرتبط بالبروتستانتية؛ ذكرها جَانْ كَالْفِنْ في القرن السادس عشر في كتابه « تأسيس ديانة النصارى » بمثل قوله فيه (٤):

- والأمر كذلك فإن الربّ الآب يعطينا بسخاء من روحه لصالح ابنه [...] قد جعل منه راعي ليبراليته وموزعها بيننا (٥).
- الذين هم ميالون إلى طاعة الربّ وموجهون إليها، مدعوون أتباعاً [...] لأنّ الربّ كرم إخلاصهم عن طريق ليبراليته (١).

---

(1) Dictionnaire Encyclopédique Larousse; p. 817.

(2) Encyclopaedia Universalis ; Article: Libéralisme.

(3) A.B.C du protestantisme. J. Baubérot et J-P Villaine: « Le terme de libéralisme désigne une mouvance théologique »; p. 109.

(4) Dumas André et Cadier Jean ; Article : Jean Calvin, Encyclopédia Universalis.

(5) Institution ... ; III-I-2; CCEL p.436 Kyregma et Farel, p. 9. Ed . 1888 p. 248.

• علينا بإسناد (الإيمان) إلى وعد بالخلاص مثلما هو معروض علينا بإرادة من الربّ وبليبرالية تامة منه (٢).

• إذا وجب أن نعود إلى اختيار الربّ حتى نعرف إذا كنا نحصل على الخلاص عن طريق ليبرالية الربّ التامة، فإن [...] خلاص الناس يعود إلى اختيار الربّ (٣).

• وبعد أن روى المحاسن المستمرة التي كانت لهم بمثل ثمار اختيارهم، ختم أنه عاملهم بطريقة ليبرالية لأنه تذكّر عهده (٤).

• إنّ مزايا الربّ الليبرالية قد بانت على سلالة إبراهيم إذ تبنّاهم (٥).

• إنّ معارضينا [...] يلجأون إلى تحذلق (بالقول) ما دام الربّ آب للجميع فليس من الصواب أن يحرم أياًّ منهم من الخلاص وكأنّ ليبرالية الربّ لا تمتد إلى الكلاب والخنازير... (٦).

• إنّ ليبرالية الفِيلِيبِيين التي أحاطوا بها القديس بُولُسْ في عوزه قد دعيت قرباناً حسن الطعم (٧).

أخيراً فقد وجب الإقرار بأنّ الليبرالية في كتاباتٍ مرجعية في البروتستانتية تسميةٌ تقترن باسم الجلالة، وبذلك فهي تحمل وجوباً وبقوة معنى الربانية، ربانية البروتستانت.



---

(1) Institution; III- II-5; CCEL p.444 Kyregma et Farel, 1978, p. 21; Edition 1888 p. 252.
(2) Ibid; III-II-29; CCEL p. 464 Kyregma et Farel, p.50 ; Edition 1888, p. 265.
(3) Ibid; III- XXI-1; CCEL p.739 Kyregma et Farel, p. 393. Edition 1888, p. 426.
(4) Ibid; III- XXI-5; CCEL p.743 Kyregma et Farel, p. 400. Edition 1888, p. 429.
(5) Ibid; III- XXI-7; CCEL p. 745. Kyregma et Farel, p. 402. Edition 1888, p. 430.
(6) Ibid; III- XXIV-17; CCEL p. 789 . III- XXIV-16; Kyregma et F, p. 455. Ed. 1888, p.457.
(7) Ibid ; IV- XVIII-16; CCEL p. 1137. Kyregma et Farel, p. 413. Edition 1888, p. 662.

الليبرالية، "شريعة" البروتستانت

ردّت الكنيسة الكاثوليكية مذهب الليبرالية جملة وتفصيلاً. فقد ورد تحت ختم البابا في تأسيس الموقف الكاثوليكي من الليبرالية ومن الليبراليين في الرسالة التي نشرها الفاتيكان سنة ١٨٨٨م تحت عنوان لِيبَرْطَاسْ *Libertas* أو الحرية: يريد المسيحيون الذين ينتمون إلى المدرسة ذات الانتشار والنفوذ والذين يقتبسون تسميتهم من كلمة الحرية أن يُدعوا لِيبِرَالِيِين بينما هم لا يفهمون من اسم الحرية إلاّ ما هو فسوق (١).

زاد الفاتيكان على هذا الموقف من الليبرالية فأعلن في ١٩٣٧ م أنّها مهّدت الطريق للشيوعية، وأنها وراء البؤس الذي وقع فيه العالم و أنّها تفتقر إلى الأخلاق أو أنها عديمة الأخلاق (٢).

سبق من الفاتيكان تفصيلٌ في رسالة البابا المسماة إِيمُّورْطَالِي دَايْ *Immortale Dei* (١٨٨٥ م)؛ تكررت فيها عبارة « الشريعة الجديدة ». ورد فيها:

راق للكثيرين البحث عن قاعدة للحياة الاجتماعية بعيدا عن عقائد الكنيسة الكاثوليكية. إنّ الشريعة الجديدة كما تسمّى والتي يزعم لها أنها ثمرة سنّ راشدة ونتاج حرية آخذة في التقدم قد بدأ يعلو ويغلب في كلّ مكان [...].

إنّ هذا الميل الخبيث والمحزن نحو الجديد والذي شهد القرن السادس عشر مولده، قد تحول إلى الفلسفة بعد أن قلب أوضاع الديانة. بهذا المنبع وجب ربط المبادئ الحديثة في الحرية الجامحة التي انتشرت في سياق اضطرابات القرن الماضي على أنها مبادئ شريعة جديدة [...].

---

(1) *Actes de Léon XIII – Libertas- Lettre Encyclique - Sur la liberté humaine (1888). Maison de la bonne presse. Paris. Non daté.*

(٢) رسالة البابا المسماة دِيفِينِي رِيدَامْتُورِيسْ *Divini Redemptoris* التي صدرت سنة ١٩٣٧م
La doctrine Sociale de l'Eglise ; Mgr Guerry. Bonne Presse ; 1959.

أول تلك المبادئ: أنّ الناس جميعا ما داموا من جنس واحد ومن طبيعة واحدة فهم متشابهون ولذلك فهم متساوون في الحياة المعيشة؛ بذلك فإنّ لـكلّ واحـد أن يتبـع نفسـه بحيث لا يكون بأيّ حال خاضعاً إلى سلطة غيره: يمكنه أن يفكر بحرية في كلّ ما يريد ويمكن له أن يفعل ما يروق له.

وما دام يفترض أنّ كلّ شعب هو مصدر الحق والسلطة، فإنّ الدولة تعتبر أنها غير ملزمة بأيّ واجب تجاه الربّ، وأنها لا تدين رسميا بأي ديانة ولا هي ملزمة بالبحث عن أيٍ من الديانات (التي تدين بها النصارى) هي الديانة الحق وأنها لا تفضل هذه على تلك ولا يكون لأيٍ منها حظوة عندها وأنه يجب عليها أن تساوي بين جميع الديانات.

من ثمة فإن كلّ واحدٍ يكون حراًّ في أن يتخذ من نفسه حَكَمًا في كلّ مسألة دينية ويكون حراًّ في اعتناق المذهب الذي يفضل.



الليبرالية عصارة من الكتاب المقدس.
مقاصد فلاسفة الليبرالية في نصوص مستترة من كتاباتهم:
تحرير النصارى من قيود اللاّهوت.

ميثاق الحرية الدينية وثيقة تمنَّى طُومَاسْ جِيفَرْسُونْ أن تذكره بها أجيال. هذا الميثاق علامة كبرى على طريق نصارى مقاطعة فيرجينيا الذين شغل مآلُ أحوالهم طُومَاسْ جِيفَرْسُونْ [١].

رأى طُومَاسْ جِيفَرْسُونْ في سعيه إلى توفير الحرية لمن حوله، أنّ حرية الضمير تُحرّر أذهانهم من قيود اللاّهوت وأنها تيسّر لهم التفتّح على دنيا العقل.

كان طُومَاسْ جِيفَرْسُونْ يصارع ديانة الكنيسة الأنجليكانية بفيرجينيا وقد انتصر وموالوه بإصدار ميثاق الحرية الدينية [٢].

الحرية في الاعتقاد.

أفصح جُونْ لُوكْ في مقالته « رسالة في التسامح » عن الرأي الذي استقر عنده في التسامح الذي وجب بين طوائف النصارى. فقد كتب: سألتني أيها الرجل النبيل عن رأيي في التسامح المتبادل بين المسيحيين وإني أجيب بإيجاز أن هذا فيما يبدو لي هو المعيار الأعلى للكنيسة الحقة.

لاَحَظَ أنّ كل كنيسة تعتقد في نفسها أنها مستقيمة الإيمان وأن غيرها ضالة أو هرطيقة وأنه لا يوجد أي حَكَمٍ يمكنه أن يفصل في النزاع بين

---

(١) دعا طُومَاسْ جِيفَرْسُونْ بالمساواة لكنه قصرها على البيض دون الزنوج. أنظر الملحق الثالث.

(2) Thomas Jefferson and the foundation of freedom; Saul K. Padover. Fawcett Edition, New York, 1965; p. 65.

هذه الكنائس حول صواب عقائدها وأن الحُكْمَ في هذه المسألة موكول إلى الحكم الأعلى.

رأى لزوم حرية الاختيار لجميع النصارى لزوما يكون مسموحا به لكل منهم أن ينضم إلى الكنيسة التي يفضِّل وألاّ يكون لأحد منهم في تنازعهم مشرّعا آخر غير مَن يختار بنفسه.

خلص جُونْ لُوكْ في موضوع الحرية في غير الشأن الديني إلى حق النصارى في أن يتصرف كلّ واحد منهم وفق ما يرى أنه مناسب له.

رأى ألاّ يغضب أحد من كون جاره يتصرف في شؤون بيته تصرفاً سيئاً، أو من كونه لم يبذر حقله كما ينبغي، أو من كونه لم يزوج بنته لمن هو كفء لها وألاّ ينزعج أحد لإصلاح إنسان يخرّب بيته بفجوره أو يضيع أمواله في الحانات.

ختام قوله أنّ جاره سواء عمّر أو دمّر، وسواء أنفق ماله يميناً وشمالاً: فكلّ هذا مسموح به، والناس يتركون له في ذلك كلّ الحرية [1].

---

(١) رسالة في التسامح (ص ٨٤)؛ سوف يتجدد القول بهذه الحرية بعد قرنين في كتابات جون ستيوارت ميل.

الليبرالية عصارة الكتاب المقدس وشأن نصراني.
الكتاب المقدس في كتابات فلاسفة الليبرالية.
جِيفَرْسُونْ: انتقد تحالف الكاهن مع الطاغية لكنه اعتنى بالكتاب المقدس

تساءل طُومَاسْ جِيفَرْسُونْ في مدوّنته الموسومة « ملاحظات حول فيرجينيا » عن سبب تميز "المسيحيين" عن غيرهم من الشعوب باعتماد القمع.

رأى أنّ كلاًّ من عدم التسامح بين "المسيحيين" وقمعهم المستمر يعود إلى تحالف الكنيسة مع الدولة تحالفاً يغذي الكاهن والطاغية في ظله امتيازات بعضهما، فيكون لأحدهما تقييد الفكر ويكون للآخر استرقاق الجسد.

رأى أيضاً أنّ سياسة الجبر المسيحية في مجال الدّين كانت تتصف بالوحشية في استئصال معارضي العقيدة الرسمية وفي اضطهادهم.

جمع طُومَاسْ جِيفَرْسُونْ تحت عنوان « حياة يسوع الناصري وأخلاقه » مجموعة من المقاطع رأى أنها تمثل قانونا أسمى في الأخلاق، اشتملت على تعاليم أخلاقية من نصوص النصارى في الكتاب المقدس اقتطعها جِيفَرْسُونْ وأعاد ترتيبها وشكل منها مجموعة ذات تناسق معروفة بتسمية بيبل جِيفَرْسُونْ *Jefferson's Bible* (1).



(1) *Thomas Jefferson and the foundation of freedom; S. K. Padover. p. 67- 68.*

جُونْ مِيلْتُونْ: انتقد طغيان الكهنة وأسس آرائه على الكتاب المقدس

رأى جُونْ مِيلْتُونْ في الكاثوليكية طغيانا كهنوتيا متسترا بالدِّين؛ قال أنها وثنية وأنها أكبر إساءة إلى "الشعب المختار" وهو عنده غير ذلك الذي يقتل الأنبياء. يقصد جُونْ مِيلْتُونْ شعب إنجلترا.

رأى أيضاً أنّ الكاثوليكية تُخْضِعُ كرامة (النصارى) إلى تقديس الأشياء المادية وأنها تشجع التفسخ والفساد ما دام الفرد يستطيع أن يدفع في الدنيا ثمن خلاصه في الآخرة نقداً؛ ص **١٥٥**.

نقل كْرِيصْطُوفَارْ هِيلْ *Christopher Hill* عن جُونْ مِيلْتُونْ تأسيس آرائه على الكتاب المقدس (ص ١٠٧) وأورد عنه قوله في خصومه:

دعهم يتغنون بما رغبوا من صلاحيات، فسوف نحدّثهم بالكتاب المقدس؛ دعهم يتغنون بالتقليد فسوف نحدّثهم نحن عن الكتاب المقدس؛ ليغنّوا عن السلوك وعن القوانين فسوف نحدّثهم عن الكتاب المقدس.

أورد أيضاً قول جُونْ مِيلْتُونْ في مبتغاه من الدعوة إلى الحرية للنصارى، وهو: كم يكون مفيدًا لمصلحة المسيحية أن يكون الناس أحرار ليس لغربلة كلّ مذهب أو لتنقيته فحسب، بل كذلك لتقديم آرائهم فيه صراحة، والكتابة عنه، كلٌّ بما يعتقد (١).

ذلك هو دافع جُونْ مِيلْتُونْ، مشغله العلني و مبتغاه الصريح: مصلحة الدِّين، مصلحة ديانة النصارى (٢).



---

(1) Milton and the English Revolution; Christopher Hill. Faber & Faber, London; 1977. p, 153-154.
(2) Ibid ; p. 250.

جُونْ لُوكْ:
الكتاب المقدس سنده في كتاباته.

يستدلّ جُونْ لُوكْ بالكتاب المقدس في « رسالة في التسامح » في مثل قوله:

• إنّ من يعوزه المحبة والرحمة والإحسان للناس بعامة، هو امرؤ بعيد من الإقرار بالإيمان المسيحي، بل هو ليس مسيحياً: سيسودهم ملك الأمم، أما أنتم فلن يكون هذا شأنكم (لوقا، ٢٢: ٢٥). هكذا يقول المخلّص لحوارييه.

• بدون طهارة الحياة، وصفاء الأخلاق، والشفقة ووداعة النفس، فمن العبث أن ينشد اسم: مسيحي. وأنت يا من اهتديت، عليك بسديد إخوانك، هكذا قال السيد بطرس (لوقا، ٢٢ : ٣٢).

• لماذا إذن ينتشر بينهم الزنا، والغش، والخبث وسائر الأمور الجديرة بالكفار، كما يقول الرسول (الرسالة إلى أهل روما: ١) ؟ أليست هذه الأمور وأمثالها أشد تعارضاً مع مجد الربّ، وطهارة الكنيسة ؟

• إنّ الزنا، والفجور، والنجاسة، والشهوانية، والوثنية وما شابهها هي من أفعال الجسد، وعنها يقول الرسول بولس صراحةً : إنّ من يفعلون أمثال هذه الأمور لن يرثوا ملكوت الله (الرسالة إلى أهل غلاطية: ٥: ١٩-٢١).

• لا عجب أنّ أناساً – مهما زعموا – لا يناضلون في سبيل تقدم الدِّين الحق والكنيسة المسيحية، إنما يستخدمون أسلحة تنتسب إلى الجند المسيحيين. فإن كانوا مثل قائد خلاصنا، يريدون حقاً خلاص النفوس، إنّ عليهم أن يقتفوا أثر خطواته وأن يقتدوا بالنموذج الكامل الذي وضعه أمير السلام الذي بعث بحوارييه لإخضاع الأمم وحشدها في كنيسته، دون أن يتسلحوا بالسيف أو بالقوّة، وإنما بالإنجيل، رسالة السلام، والأسوة الحسنة في سلوكهم؛ ص: ٦٥- ٦٨.

• بيد أنه لما كان هذا الموضع ليس الموضع المناسب للبحث في علامات الكنيسة الحقة فإني أجترئ بأن أذكّر أولئك الذين يدافعون بحماسة عن مراسيم جماعتهم هم، والذين يصرخون باستمرار: [...] وربما لنفس الدافع، مثلما صاح صاغة الفضة في أفسوس من أجل إلإلاهَتِم دينا (أعمال الرسل، ١٩) – أقول إني أذكّرهم بأنّ الإنجيل كثيراً ما يَصرّح بأنّ تلاميذ المسيح الحقيقيين ينبغي عليهم أن يتوقعوا الاضطهاد وأن يعانوه؛ أما أن يكون على كنيسة المسيح الحقة أن تضطهد الآخرين أو أن تتعقبهم أو ترغمهم بالقوة، بالسيف والنار، على اعتناق إيمانها وعقائدها، فإني لا أذكر أني قرأت شيئاً من هذا في أي موضع من العهد الجديد. ص: ٧٦.

• إنّ الإنجيل لا يأمر بشيء كهذا. والكنيسة، وهي لا تحكم على من هو خارجها (الرسالة الأولى إلى أهل كورنتوس- ١٢,١٣) لا تريد هذا. والدولة، وهي تقبل الناس بوصفهم ناساً طالما كانوا أمناء مسالمين مجتهدين لا تحتاج إلى هذا. ص: ١٢٠.

• لعلّ الله القدير يجعل الناس في النهاية يبشّرون بإنجيل السلام. ص: ١٢٣.

• ستقول: بحسب شريعة موسى يجب طرد الوثنيين. وأجيبك: نعم هذا ما تقوله شريعة موسى؛ لكن هذا لا يُلزم المسيحيين بأيّ حال من الأحوال. وليس لك أن تفرض على جميع الناس ما شُرِّع لليهود ولن يجديك أن يستشهد هنا بالتمييز المشهور- ولكنه هنا بغير فائدة – بين القانون الأخلاقي، والقضائي، والطقسي. ذلك أن أي قانون وضعي لا يلزم أحداً غير من وضع لهم هذا القانون. والعبارة اسمع يا إسرائيل! تقصر على اليهود وحدهم الالتزام بشريعة موسى. ص: ١٠٢.

جُونْ لُوكْ:

العمل الذي لا مرجع له في الكتاب المقدس، مردود.

ذكر جُونْ لُوكْ انتشار الغش والخبث بين من قال إنهم يَضْطَهِدون ويُعذِّبون وينهبون ويذبَّحون غيرهم من المسيحيين بدعوى الدِّين، وسألَ إذا لم يكن ذلك أشدّ تعارضاً مع مجد الربّ وطهارة الكنيسة من أيّ اعتقاد متعارض مع قرارات الكنيسة.

لاَحَظَ حميةً في سبيل الربّ تمضي بطرف من "المسيحيين" إلى حدّ إحراق "مسيحيين" أحياء وسأل: لماذا لا تقوم تلك الحمية بمعاقبة الفواحش و الرذائل التي هي بإقرار الجميع مضادة للمسيحية ؟ ولماذا لا تولي أي التفاتة نحوها ؟

قال إنّ تلك الحمية تحرض فقط، وبكلّ قواها، على معاقبة آراءٍ غالباً ما تتعلق بمسائل دقيقة تتجاوز إدراك العامة.

ذَكَرَ « الفجور والنجاسة والشهوانية والوثنية » وساق من الكتاب المقدس أنّ "من يفعلون أمثال هذه الأمور لن يرثوا ملكوت الربّ " [١].

لاَحَظَ أنّ الأجدر بكنيسة المسيح الحقّة: أن تجعل شروط مشاركتها في الأمور التي أعلنت الروح القدس بوضوح وبكلمات صريحة في الكتاب المقدس أنها ضرورية للنجاة وأنّ ذلك أجدر من أن يفرض الناس اختراعاتهم وتأويلاتهم على الآخرين وكأنها من مصدر إلهي [٢].

---

(١) رسالة في التسامح ص: ٦٧- ٦٨.

(٢) رسالة في التسامح ص: ٧٦- ٧٧.

جُونْ مِيلْتُونْ:
اعتصر موطيء فكرة التعدد من الكتاب المقدس.

كتب جُونْ مِيلْتُونْ في مقالته « آرْيُوبَاجِيتِيكَا »:

ليست الكتب أشياء ميتة قطعاً. إنّ بها لحياة خصبة وقوة بقوة العقل الذي تولدت عنه. القول فيها أنها تَحفظ مثل قنينة، أنقى مستخلصات الفكر الذي أنجبها [...] ولننتبه من أننا إذا تصرفنا بدون حذر فإننا نقتل إنساناً بقتل كتاب جيد ! [...] كم من إنسان ليس إلاّ عبئاً على الأرض. لكنّ الكتاب الجيد هو الدم المنعش لفكر سما، إنه كنز ثمين معطّر ومحفوظ. لنحذر إذن ولنفكر في القمع الذي أطلقنا ضد أعمال رجال المدينة الحية، ولنحذر تدمير حياة بشرية ولنفكر فيها وقد أُنضجت وحُفظت ثم تراكمت في الكتب: لأنّ احتمال إقدامنا على جرم يصبح جلياً [...] تلك جريمة لا تتوقف عند إفناء حياة إنباتية بل تبلغ الفكر وتبلغ حياة العقل نفسه، مَنْ أقدم عليها كان أكثر من مجرم.

ماذا وراء تحذير جُونْ مِيلْتُونْ من القمع ؟ ما هو مبرر دعوته إلى الإفساح لتلك الأعمال وما هي هذه الأعمال ذاتها ؟

نجد إجاباتٍ في رؤيا تعود به إلى حوالي أربعة عشر قرناً مضت. كتب في آرْيُوباَجِيتِيكاَ:

كان دُونِيسْ الإسكندرية وهو مشهور في الأوساط الكنسية بورعه وعلومه، اعتاد الافادة الواسعة في الردّ على أصحاب البدع، من معرفته الواسعة بكتبهم، إلى أن جاء يوم حوالي عام ٢٤٠ أثار فيه راهبٌ مشكلة بقولٍ في جرأةِ دُونِيسْ على المخاطرة بمطالعة الأسفار المفسدة. أصبح الرجلُ الوقور، في نفوره من الفضائح، محلّ حيرة جديدة، متسائلاً عمّا يمكنه النظر به في الأمر وإذا برؤيا آتية من الربّ، بتوكيد من دُونِيسْ نفسه في رسالته، تؤيده بهذه العبارة: إقرأ كلّ الكتب التي تقع بيدك لأنك أهل

لإجادة الحكم وأهل للنظر في كلّ موضوع معالج. اعترف بتسليمه بهذا الوحي [١].

لماذا سلّم دونيس بما يسميه وحياً ؟ يقول جُونْ مِيلْتُونْ: لأنه يؤيد وحي الحواري للتِيسالُونِيين: « امتحنوا كلّ شيء، تمسكوا بالحسن ».

أخذ جُونْ مِيلْتُونْ يوسع مرجع تسليم دُونِيسْ الإسكندرية بذلك الوحي فكتب أنّ دُونِيسْ كان بإمكانه إضافة قول دامغ آخر من القائل نفسه وهو هنا كما صاغته النصارى بالعربية في الكتاب المقدس [٢]: كلّ شيء طهر للأطهار.

أتمّ جُونْ مِيلْتُونْ القول أو هو أضاف له بقية بقوله: ليس المأكل ولا المشرب فحسب بل كذلك المعرفة. استخلص من هذه الإضافة أنّ المعرفة لا يمكنها أن تُحدث فساداً وأنّ الفساد لا يُحدث بالتالي من الكتب إذا كانت الإرادة وكان الضمير غير فاسدين.

صاغ القاعدة التي تولدت له وهي أنّ: الكتب مثل الطعام والغذاء، بعضها حسن النوعية وبعضها الآخر سيٍء.

لجأ مجددا إلى سند يلغي به كلّ حد وقيدٍ قائلاً: و مع هذا فإن الربّ في تلك الرؤيا الكنسية صرح دون تقييد: قم بُطْرُسْ، أُقْتُلْ وَ كُلْ.

« امتحنوا كلّ شيء، تمسكوا بالحسن »

يجد "المسيحيون" هذه العبارة كما وجدها جُونْ مِيلْتُونْ في الكتاب المقدس في نص الرسالة إلى أهل تِيسالُونِيكِي المنسوبة إلى بُولُسْ وهي غير مستثناة من قول ف.د. مُولْ *F. D. Moule* أستاذ اللاّهوت بجامعة كمبردج *Cambridge* بإنجلترا في كتابه "تكوين العهد الجديد" [٣] بأنّ مصدر رسائل

---

(1) La Presse dans la Société Contemporaine Bernard Voyenne . 2° édition, P.U.F.

(٢) نشرة جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى.

(3) La génèse du Nouveau Testament ; C. F. D. Moule. Ed. .Delachaux –Nestlé; p. 169.

بُولُسْ يمثل إحدى كبريات المشاكل الأكثر إبهاماً. ص: **١٦٩.**

ديباجة الرسالة (١) تفيد أنها « من بولس وسلوانس وتيموثاوس إلى كنيسة التيسالونيكيين في الله الآب والربّ يسوع المسيح ».

وردت عبارة « امتحنوا كلّ شيء، تمسكوا بالحسن » في السياق التالي: « لا تطفئوا الروح – لا تحتقروا النبوات – امتحنوا كلّ شيء. تمسكوا بالحسن – امتنعوا عن كلّ شبه شرّ – وإله السلام نفسه يقدسكم بالتمام ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح ».

ورد من هذا المقطع جلّه في رسالة جامعية قدمها نُورْبَارْ هُوجِيدي *Norbert Hugedé* من جامعة جنيف بسويسرا، موضوعها وهو عنوان الكتاب الذي نشرت به: القديس بولس والثقافة الإغريقية (٢).

لاحَظَ الباحث بدايةً أثر الرواقية في كيفية تقديمِ الرسائلِ المبادئَ الأخلاقيةَ. ذلك أنّ الفوضى الظاهرة في تصفيف نصائح من مختلف الأنواع تبدي تشابهاً مع التصفيف المعروف عن مصنفات الأمثال الإغريقية. سجل أنّ بُولُسْ يبحث عن قصد عن الحِكم القصيرة القاطعة ويسيرة الحفظ.

استدلّ من الرسالة بهذه الحِكم أو الوصايا: افرحوا كلّ حين ـ صلّوا بلا انقطاع ـ أشكروا في كلّ شيء ـ [...] ـ لا تطفئوا الروح ـ لا تحتقروا النبوات ـ **امتحنوا كلّ شيء. تمسكوا بالحسن.**

أتبع المقطع بتعليق قائلاً إنّ المبادئ غير موضحة وأنها معروضة فقط ثم أشار إلى تأثر كاتب نص الرسالة بشكل أو بآخر بمسمى المهاترات

---

(١) نشرة جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى.

(2) Saint Paul et la culture grecque; Norbert Hugedé. LABOR et FIDES, Genève, 1966; p. 130.

الشعبية عند الإغريق ملاحظا أنّ كاتب الرسالة رصّ سبع وصايا في أقلّ من ثلاثة أسطر. ص: ١٣٠.

« كلّ شيء طاهر للطاهرين ».

يجد « المسيحيون » عبارة كلّ شيء طاهر للطاهرين كما وجدها جُونْ مِيلْتُونْ، في نص الكتاب المقدس الذي يسمونه الرسالة إلى تِيطَسْ والمنسوبة أيضاً إلى بُولُسْ. سياقُها:

قال واحد منهم. وهو نبي لهم خاص. الكريتيون دائما كذابون وحوش رديئة بطون بطالة ـ هذه الشهادة صادقة. فلهذا السبب وبخهم بصرامة لكي يكونوا أصحاء في الإيمان ـ لا يصغون إلى خرافات يهودية ووصايا أناس مرتدين عن الحق ـ كلّ شيء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهر بل قد تنجس ذهنهم وضميرهم.

هذا المقطع لا يذكر مأكلاً ولا مشرباً، بل إنّ نص الرسالة كله لا أثر فيه لمأكل ولا لمشرب، بينما كتب جُونْ مِيلْتُونْ أنّ دُونِيسْ الإسكندرية كان بإمكانه إضافة قول دامغ آخر: كلّ شيء طاهر للأطهار، ليس المأكل ولا المشرب فحسب بل كذلك المعرفة.

جعل جُونْ مِيلْتُونْ طهارة الطعام وجعلها جزءا من طهارة – كلّ شيءٍ، لمن يرى فيهم الطاهرين فامتد بالطهارة من المأكل والمشرب إلى المعرفة فإلى الفكر؛ فتيسر له الانتقال من المعرفة إلى الكتب. قال: فالمعرفة لا يمكنها أن تُحدث فسادا وبالتالي فذاك لا يَحدث من الكتب إذا كانت الإرادة وكان الضمير غير فاسدين.

أوجد جُونْ مِيلْتُونْ بذلك للإقبالِ على كلّ نصٍ مكتوب، وعلى جميع أوجه مسمى المعرفة وعلى الآراء أياًّ كانت ، موطئاً في الكتاب المقدس.



الليبراليون: وقفوا على قصور في توراة الكتاب المقدس ولم يهجروا نصوصها [١].

أدرك الليبراليون أوجهاً من القصور الذي يشوب توراة الكتاب المقدس غير أنهم لم يهجروها ولا أعرضوا عنها [٢]؛ فقد أقرّ الكاتب الكاثوليكي بْيَارْ جِيلْبَارْ في مؤلف له صدر بترخيص كنسي أنّ الصفحات الأولى من الكتاب المقدس تحمل مشكلة [٣].

يُجلي المشكلة ِربيٌّ مؤرخٌ وكاتبٌ هو جُوزِي آيْزَنْبَارْغْ *Josy Eisenberg* [٤].

عرض في كتابٍ له كيفيات جمع نصوص الكتاب المقدس. كتب أنّ الإعلان الرسمي عن توزيع نصوص اليهود في الكتاب المقدس بين نصوص مقدسة وغير مقدسة لم يتم دون جدل لأنّ التساؤل بقي عالقاً في أمر مقاطع توراة الكتاب المقدس التي تروي وفاة موسى عليه السلام: ذلك أنّ من الربيين من يرى أنّ موسى هو الذي قصّ وفاته بنفسه ومنهم من يرى أنّ تلميذه يوشع هو الذي وضع مقاطعها الأخيرة. ص: ٤٧.

نقل آلبارْ دُوبُوري في كتاب « مساءلة البانتاتوك » الذي صدر سنة ١٩٨٩م بمدينة جنيف [٥] أنه كان قد بدا لأساتذة كليات اللاّهوت بجامعات سويسرا أنّ الوقت قد حان للوقوف على الأبحاث الجارية حول توراة الكتاب المقدس والتي تميزت في السنوات الأخيرة بالطروحات الأكثر

---

(١) "توراة الكتاب المقدس" اصطلاح بديل نجريه على الطُورَا *Torah* بدل "التوراة".

(٢) يمكن الاطلاع على وجه آخر من القصور في الملحق الرابع الذي يعرض لبيان أمرين، هما:

- تعذّر استخراج دستور أو قوانين تسيير البلاد من الكتاب المقدس أو استمداده منه على غلاة النصارى.

- تعذّر الجمع بين تسيير الدولة والائتمار بوصايا الكتاب المقدس.

(3) Bible, mythes et récits de commencement; P. Gilbert . Ed. du Seuil, Paris; 1986.

(4) Le Judaïsme , Josy Eisenberg. Editions J. Grancher ; Collection Ouverture, 1989.

(5) Le Pentateuque , débat et recherches, CERF, Paris 1992. « Le Pentateuque en question, position du problème et brève histoire de la recherche »; contribution de Albert De Pury et Thomas Römer.

تجديداً.

ضمّ الكتابُ أبحاث ملتقى حول نصوص توراة الكتاب المقدس. كتب فيه آلبارْ دُوبُورِي وطُوماَسْ رُوماَرْ بحثاً في وضعية المشكلة وتاريخ البحث فيها. قالا وقد عرضا لاستمرار مساعي الوقوف على مصادر هذه النصوص منذ القرن الثاني عشر الميلادي ألاّ أحد أدرك ولا تصور أن تطرح مصادر هذه النصوص ولا أن يطرح تبدّلها وتضخمها مشكلة.

خلصا إلى الكشف عن مبعث القلق فكتبا أنّ مسألة مستقبل البانتاتوك أو مسألة توراة الكتاب المقدس أصبحت مرتبطة بمسألة المصادر. ص: ١٧.

الأمر أن ردّ هذه النصوص إلى ما بعد موسى صلى الله عليه وسلم ينزع عنها كل مصداقية و كل مدًى لاهوتي و روحي في وقت يقرّون في الغرب أنهم يعيشون عصر أزمة يلازمه البحث عن قِيَمٍ جديدةٍ.

إنّ هذا الأمر كلّه لم يؤد إلى إعراضٍ من الليبراليين عن الكتاب المقدس ولا أدّى إلى إهمالهم له: إنّ الدول الغربية ممسكة بدينها بمذاهبها فيه، وممسكة بالكتاب المقدس الذي يطعّم ثقافاتها في القول بكلٍ من الكرامة والحرية والمساواة والحق في الحياة. لقد استَمدّوا هذه المفاهيم من عبارة واحدة في توراة الكتاب المقدس التي اتَخذوها مرجعاً في ما يقولون به من مبادئ في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان يريد لها الانتشار بين كلّ الأمم.



خلاصة

كانت الليبرالية مسلك طلائع النصارى في الارتقاء الذي يسأل المسلمون عنٍ منفذ إليه باتّباع مسارات النصارى مع اشتراط المحافظة على الإسلام ديناً.

كَشَفَ تجديدُ قراءة الكتابات المؤسِّسة لفلسفة الليبرالية عن وجه يُجلي انشغال فلاسفة الليبرالية بشؤون ذويهم وفق ما يدلهم عليه الكتاب المقدس، ويجلي اقتران الليبرالية بالخلفية النصرانية أو "المسيحية" دلالة اعتلال القول بالجمع بين الليبرالية و الإسلام.

« هل يمكن أن يصير المسلمون أمثال (الغربيين) في هذا الارتقاء إذا اتبعوهم في أسبابه ... ؟ »

الفسم الثاني

الليبرالية في كتب الإعلام الإسلامية العربية

العلّة الكبرى في الكتابة في موضوع الليبرالية.

الليبرالية في كتابات الإعلام الإسلامية العربية

تحريف الليبرالية في كتابات الإعلام الإسلامية العربية

يعرض السياق التالي للعلّة الكبرى التي أصابت الكتابات الأكاديمية والجامعية الإسلامية العربية في الليبرالية. تدل عليها عيّنة من فصول في النظرية الليبرالية في الكتب الموجهة إلى طلاب دراسات الإعلام في الجامعات الإسلامية العربية [١].



---

(١) كتب العيّنة:

- الإعلام له تاريخه ومذاهبه؛ عبد اللطيف حمزة .... دار الفكر العربي، القاهرة؛ **١٩٦٥** م.
- مقدمة في علم الاتصال؛ نبيل عارف الجردي .... مكتبة الإمارات ـ العين؛ **١٩٨٥** م.
- المسؤولية الإعلامية في الإسلام؛ محمد سيد محمد ..... المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر؛ **١٩٨٦** م.
- فن الخبر الصحفي؛ فاروق أبو زيد .... ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر؛ **١٩٨٦** م.
- الخبر الصحفي وضوابطه الإسلامية؛ كرم شلبي .... دار الشروق، جدة؛ **١٩٨٨** م.
- في سبيل إعلام إسلامي. إعلامنا إلى أين ؟ علي محمد جريشة ... دار الإرشاد، الجزائر؛ **١٩٩٠** م.
- مدخل إلى علوم الإعلام والاتصال؛ زهير إيحدادن ..... ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر؛ **١٩٩١** م.

تحريف الليبرالية في كتب الإعلام الإسلامية العربية

في منشأ النظرية الليبرالية

تنتقل سمة النظرية في كتب أساتذة الإعلام الإسلامية العربية من الحرية إلى الليبرالية إلى الفردية.

خاض المؤلفون في منشأ النظرية الليبرالية وفي مبادئها وفي تصوراتها بما ينقل معالمه السياق التالي.

• **الإعلام له تاريخه ومذاهبه.** ورد فيه أنّ الليبرالية نشأت في القرن السابع عشر الذي قال المؤلف أنه شهد تطوراً فلسفيا أدى إلى ظهور مبادئ الحرية وأنّ إنجلترا بدت أثناءه بمثابة المركز الرئيسي لحركة سياسية انتصر فيها البرلمان على التاج. كتب أيضاً أنّ ظهور الطبقة الوسطى من العوامل التي أثّرت في تطور المذهب الحرّ. ص: ١١٦.

• **المسئولية الإعلامية في الإسلام.** تناول مؤلفه منشأ النظرية بما جعلها بدأت كتعبير عن ثورة النمو الرأسمالي الناشئ في أوربا بشعارات الحرية في وجه أنظمة الحكم الاستبدادية الإقطاعية التي كانت تسد طريق التطور الصناعي والتبادل التجاري. ص: ٢١٥.

• **مقدمة في علم الاتصال.** ورد فيه أنّ سبل الاتصال ووسائل النشر في الأنظمة الاستبدادية بدأت تضمحل بصورة واضحة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وأنّ عدداً من المفكرين الليبراليين بدأوا بمحاربة النظرية الاستبدادية، وأنّ سلسلة من الثورات الديمقراطية بدأت بإحداث ثقوب واضحة في درع الأنظمة الاستبدادية في العديد من الدول الغربية وذلك عندما بدأ الإصلاح البروتستنتي يتحدى الكنيسة الكاثوليكية. ورد فيه أيضاً أنّ هذا الوقت شهد ظهور أشهر الثورات الفكرية في تاريخ عصر النهضة وشهد ظهور الاكتشافات في شتى المجالات. ص: ٧٤.

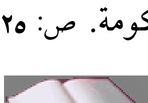
• **مدخل إلى علوم الإعلام والاتصال.** أفرد مؤلفه بَاباً لعرض نظرية حرية الإعلام. خصّ أوله لعوامل ظهور النظرية: السياسي، والفلسفي، والاقتصادي. كتب أنّ الفلسفة كانت تربة خصبة لظهور نظرية حرية الإعلام وأنّ الحرية وجدت ملجأ لها ومربياً نصوحاً لنشاطها ولفطامها في أحضان الفلسفة.

أورد أنّ الحكام الأوروبيين في العصر الحديث تحديداً، كانوا يخافون من حرية الطبع والنشر وأنّ هذا كان يجعلهم في حالة يصطدمون بالكتّاب والفلاسفة الذين توجهت جهودهم إلى المطالبة بحرية الطبع والنشر. قال أنّ أولئك الفلاسفة ألّفوا كتباً ومقالات تتضمن هذه المطالب ... ص: ٤٣.

- **نحو إعلام إسلامي. إعلامنا إلى أين ؟** كتب فيه مؤلفه أنّ أن هذه النظرية قد تجد لها سنداً في ميراث الإنسانية الطويل وأنها قد تجد ما يدعمها في كتابات أصحاب المذهب الفردي الذي تبنته الثورة الفرنسية بعد ذلك.

مدّ ما قد يدعمها إلى إعلانات حقوق الإنسان ابتداء من الإعلان الفرنسي عام ١٧٩٩ وانتهاء إلى إعلان الأمم المتحدة المسمى بالإعلان العالمي عام ١٩٤٨. ذكر إعلانات حقوق الإنسان وقانون الإعلام الدولي ليقول أنّ ذلك كله قد يكون فيه دعم قانوني أو تشريعي للنظرية الليبرالية. ص: ٣٠-٣١.

- **الخبر الصحفي وضوابطه الإسلامية.** خص فيه كاتبه فصلاً لاستعراض المفهوم في نظريات الإعلام، وكتب بدوره أنّ النظرية الليبرالية ظهرت في إطار المفهوم الرأسمالي للحرية في المجال الاقتصادي الذي ذهب فيه بدوره إلى أنّه يقوم على أساس تأكيد قيمة الفرد في ممارسة نشاطه الاقتصادي بأقلّ قدر ممكن من تدخل الحكومة. ص: ٢٥.



تحريف الليبرالية في كتب الإعلام الإسلامية العربية

مبادئ النظرية الليبرالية والتصورات التي قامت عليها

في الكتابات الأكاديمية العربية في الليبرالية

• **الإعلام له تاريخه ومذاهبه.** ورد فيه أنّ مبادئ الحرية تقوم على أنّ سعادة الفرد ورفاهيته هي الغاية الأولى والأخيرة من وجود المجتمع. حصر الكاتب الفروض والتصورات التي أورد أنّ الحرية تقوم عليها، في أنّ:

- الإنسان من حقه أن يتعرف على الحقيقة وأن يسعى إليها ويهتم بها في كلّ وقت.

- الوسيلة الوحيدة للوقوف على الحقيقة هي أن تعرض في المناقشات الحرة المفتوحة، وأنّ هذه الآراء إذا تضاربت في هذه المناقشات فلا ضرر من ذلك في الواقع إذ الحقيقة – كما ذهب إلى ذلك سْتِيوَارْتْ مِلْ لا يمكن أن تظهر إلاّ إذا عورضت من جهات شتى.

- الآراء وإن اختلفت اختلافا بعيداً أو قريباً، فإنه ينبغي أن يتاح لكلّ ذي رأي فرصة يعرض فيها رأيه ويحاول إقناع الآخرين به ما استطاع؛ وأنّ الرأي الصائب يستطيع أن يظهر وسط هذه الخلافات. ص: **١٢٠.**

أورد أنّ « أنصار هذه النظرية يبنون مجموع آرائهم على إيمانهم المطلق بالإنسان من حيث هو إنسان. أما رأيهم فهو أنّ هذا الإنسان يختلف عن الحيوان بأشياء كثيرة، منها قدرته على التفكير، وقدرته على التذكر، وقدرته على استخدام خبراته السابقة في الوصول إلى نتائج يبني عليها أحكاماً ... ». ص: **١١٥.**

• **المسئولية الإعلامية في الإسلام.** أشار فيه كاتبه إلى ما يرى أنها ثورة النمو الرأسمالي الناشئ في أوروبا وكتب أنّ مفهوم الحرية كان منصباً آنذاك على تأكيد قيمة الفرد من حيث هو فرد في ممارسة نشاطه الاقتصادي

بأقلّ قدر ممكن من تدخل الدولة، والتأكيد على الحقوق الطبيعية للإنسان التي أورد بعد عبد اللطيف حمزة أنها الحقوق التي منها حرية العبادة وحرية التعبير أو حرية الصحافة.

قال أنّ نظرية الحرية تقوم على تصورات منها أنّ الإنسان من حقه أن يتعرف على الحقيقة وأن يسعى إلى معرفتها وأنّ وسيلة معرفتها الوحيدة هي النقاش الحر. أورد بدوره أنّ الآراء كلما تضاربت وكلما تعدد الخلاف حولها وأتيح لكل ذي رأي أن يعرض رأيه، أمكن للرأي الصائب أن يبرز ويتغلب. ص: **٢١٥**.

استعمل في تصوره الإعلام المعاصر مصطلح النظرية الليبرالية بعد الإعراض عن مصطلح نظرية الحرية واتّبع في عرضها منهجاً يقوم على دعائم ومتغيرات تقوم فيها الدعامة الفلسفية على رصيد هائل من كتابات الفلاسفة والمفكرين الذين شغلتهم قضية الحرية. ص: **٢١٧ - ٢١٨**.

عرض باقتضاب فلسفة كلٍّ من جُونْ لُوكْ *John Locke* وجُونْ مِيلْتُونْ *John Milton* وجُونْ رَاسْكِينْ *John Ruskin* وجُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ *John Stuart Mill* وأورد أنّ الإنسان في رأي الليبراليين: مخلوق يسيره العقل لا العاطفة ولا المصلحة الضيقة، وأنّ استخدام الإنسان لعقله يستطيع أن يكشف (به) قوانين الطبيعة التي تحكم الكون، كما يستطيع أن يخضع مؤسساته للسير وفق هذه القوانين وأنّ الإنسان يبني بذلك مجتمعاً عادلاً. أورد أيضاً أنّ الحقيقة عند الفلاسفة الليبراليين لا تستمد من السلطة، وإنما تستمد من عقل الإنسان: ذلك أنّ الإنسان يجد الحقيقة بعقله بغير حاجة إلى وصاية أو إلى من يقوده إليها. ص: **٢١٨ - ٢١٩**.

- **مقدمة في علم الاتصال.** أورد فيه كاتبه أنّ الفلاسفة في القرنين السادس والسابع عشر بدءوا يناقشون العلاقة بين الأفراد والمجتمع وأنهم ذكروا أنّ الأفراد في المجتمع مستقلون وأحرار وأنّ الحكومة وُجدت لحماية حقوقهم.

سجل أيضاً أنّ الفرد في ظل النظام الليبرالي يتمتع بحرية مطلقة وأنه يستطيع أن يفعل ما يحلو له، وأليس لأحد وخاصة السلطة التدخل.

نقل عن وِيلْبَارْ شْرَامْ *Wilbur Schramm* أنّ الفكرة الأساسية في التنوير تتمثل في الإقرار بأنّ الإنسان قادر ومتمكن من مقدراته دون مساعدة تأتيه من الخارج، وأوضح أنّ الذي حدث هو أنّ الإنسان الذي استطاع أن يثبت دائرية الأرض وأن ينظر إلى الكواكب بالتلسكوب والذي اكتشف الدورة الدموية واستطاع أن يتحدى السلطة (الكنيسة الكاثوليكية) في جدالها معه، ألقى قفاز التحدي أمام الموروث الماضي والقوة والحكمة السالفة وأعلن استقلاله من كل قوى خارجية تحد من حريته وتكبل ذكاءه الذي يريد بواسطته أن يحل كل القضايا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. ص: ٧٤ – ٧٥.

• **مدخل إلى علوم الإعلام والاتصال.** أفرد كاتبه بَاباً لعرض نظرية حرية الإعلام وتطورها وخصّ أول فصوله لتناول عوامل ظهور نظرية حرية الإعلام التي رآها في ثلاثة عوامل سياسي، وفلسفي، واقتصادي.

كتب في عرض هذه العناصر أنّ الفلسفة كانت تربة خصبة لظهور نظرية حرية الإعلام وأنّ الحرية وجدت ملجأ لها ومربياً نصوحاً لنشاطها ولفطامها في أحضان الفلسفة.

كتب: « وقد كان الحكام الأوروبيون في القرن الأول من العصر الحديث يخافون من حرية الطبع والنشر وكان موقفهم هذا يجعلهم في حالة يصطدمون بالكـتّاب والفلاسفة الذين ... توجهت جهودهم إلى المطالبة بحرية الطبع والنشر وأظهروا استياءهم من الإجراءات التي كان الحكام يتخذونها ضد حرية التعبير بما في ذلك الصحافة ». ص: ٤٣.

• **نحو إعلام إسلامي. إعلامنا إلى أين ؟** ردّ الكاتب [١] تسمية نظرية

---

(١) أشار بالهامش إلى أنّ مرجعه في هذا هو كتاب: المسئولية الإعلامية في الإسلام.

الحرية واعتمد تسمية النظرية الفردية للإعلام. ص: ٣٠.

أشار إلى إصرار أصحابها على إطلاق وسائل الإعلام للأفراد والشركات وإلى دعوتهم الحكومات على أن تغلّ يدها عن وسائل الإعلام تملكاً وتأثيراً. ص: ٣١.

سجل بهامشٍ أنّ الكَاتِبِينَ يشيرون في هذا الموضوع إلى فلسفة جُونْ لُوكْ في القرن السّابع عشر حول الحرية وارتكازها إلى أنّ الشعب مصدر السلطات كما يشيرون إلى جُونْ مِيلْتُونْ وما ردده من أنّ الإنسان لا يصل إلى الصواب إلاّ إذا استمع إلى آراء مخالفيه، وأنّ الحقيقة لا يكتب لها البقاء إلاّ إذا وضعت أمام غيرها من الحقائق وجهاً لوجه. أضاف إشارتهم إلى جُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ وقوله: إذا أسكت رأياً فقد أخفيت حقيقة. ص: ٣٠.

- **فنّ الخبر الصحفي.** لاحظ فيه كاتبه أنّ الفلسفة الليبرالية استهدفت تقليص القيود التي تضعها الدولة على حرية الفرد، كما استهدفت حصر دور السلطة في تحقيق أمن الفرد وسلامته وخيره العام. أورد أنّ الليبرالية كانت ترى أنّ الفرد هو خير حكم على الأعمال التي تعود عليه بالنفع، وأنّ المجتمع لا يمكن أن يحكم إلاّ على الأضرار التي قد تلحق بالآخرين. الهامش الأول، ص: ٣١.



تحريف الليبرالية في كتب الإعلام الإسلامية العربية

خواء الوحدات اللفظية الدالة على الدِّين أو التي تشير إليه في كتب الإعلام الإسلامية العربية في الليبرالية [١].

تظهر علة الكتابة في منشإ الليبرالية وفي مبادئها وفي التصورات التي تقوم عليها، من خلال الوحدات اللفظية الدالة على الدِّين أو التي تشير إليه، ويجلو من ذلك خواء العبارات الموظفة في الكتابات العربية والإسلامية في الإعلام.

الوحدات اللفظية بسياقها مستخرجة من كلّ كتاب من كتب عيّنة البحث:

(١) - الإعلام له تاريخه ومذاهبه. ورد فيه:

(١-١) وكان ظهور الطبقة الوسطى إذ ذاك من العوامل التي أثرت في تطور المذهب الحرّ، ذلك أنّ مصالح هذه الطبقة - وأكثرها من التجار - كانت تتطلب وضع حد للخلافات الدينية. ص: ١١٦.

(١-٢) قامت هذه النظرية (نظرية الحرية) على فكرة الحقوق الطبيعية للإنسان، وهي الحقوق التي منها حرية العبادة، وحرية التعبير. ص: ١٢٠.

(٢)- المسؤولية الإعلامية في الإسلام. ورد فيه:

(٢-١) بدأت هذه النظرية (نظرية الحرية) كتعبير عن ثورة النمو الرأسمالي الناشئ [...] وكان مفهوم الحرية آنذاك منصباً على تأكيد قيمة الفرد [...] والتأكيد على فكرة الحقوق الطبيعية للإنسان وهي الحقوق التي منها

---

(١) يمتد هذا الخواء إلى البحوث القصيرة والكتابات العادية بما يدلّ عليه مثال مقالتين دراسيتين منشورتين على عدد من المواقع العربية والإسلامية على شبكة الإنترنت؛ انظر الملحق الخامس.

حرية العبادة، وحرية التعبير أو حرية الصحافة. ص: **٢١٥**.

(٢-٢) الإطار العام لـ(لنظرية الليبرالية) يتمثل في [...] مفهوم حرية الإنسان في التملك، وفي حرية الاعتقاد والتعبير و إبداء الرأي. ص: **٢١٧**.

(٢-٣) مَن يقارن الطريقة التي عالجت بها الصحافة البريطانية موضوع نزع السلاح خلال فترة انعقاد مؤتمر جنيف عام **١٩٣٢** بالأهمية الكبرى التي أضفتها تلك الصحافة على تتبع أخبارالسلوك الجنسي لأحد رجال الدِّين الإنجليز. من تعليق لاَسْكِي. ص: **٢٢٠**.

(٢-٤) الإذاعة البريطانية مثلاً رفضت طلباً للحكومة بعدم عقد ندوة حول الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت. ص: **٢٢٥**.

(٣)- مقدمة في علم الاتصال. ورد فيه:

(٣-١) بدأت سلسلة من الثورات الديمقراطية في العديد من الدول الغربية بإحداث ثقوب واضحة في درع الأنظمة الاستبدادية. وذلك عندما بدأ الإصلاح الديني البروتستانتي يتحدى الكنيسة الكاثوليكية. ص: ٧٤.

(٣-٢) الإنسان ... استطاع أن يتحدى السلطة ـ الكنيسة الرومانية ـ في جدالها معه. ص: ٧٥.

(٤) - نحو إعلام إسلامي. إعلامنا إلى أين ؟ ورد فيه:

(٤-١) يختلف الكاتبون حول التأثير الصهيوني في مجال الإعلام وغيره ما بين موسع ومضيق، فالبعض يبالغ حتى يفسر كل ما يقال، بل كل ما يحدث في العالم- أنّ وراءه أيدٍ صهيونيةٍ (...) ونقرر أنّ مجال الإعلام العالمي واضح فيه الصهيونية بما لا يدع مجالاً للجدل. هامش ص: **٣١**.

(٤-٢) الإذاعة طلبت منها الحكومة عدم إذاعة ندوة حول الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت. هامش ص: **٣٢**.

أبرزَ هذا العرضُ العبارات التي وظفها أساتذة الإعلام في ذكر الدّين واللاّهوت [١] في حديثهم عن منشإ الليبرالية ومبادئها والتصورات التي تقوم عليها، وقد وجب الإقرار بأنّ هذه العبارات لا تحمل أوهن صفة من صفات ربانية البروتستانت و لا تُظهر علاقة الكتاب المقدس كما ترشح من كتابات النصارى في الليبرالية.

موطن التحريف الذي أحدثته كتب أساتذة الإعلام الإسلامية العربية في تصوير الليبرالية هو حجب كلّ من الدِّين واللاّهوت وإبداء الليبرالية مثل مذهب لا دِين له أو مذهب مَن لا دِين لهم.

---

(١) الوحدات بسياقها :

- الخلافات الدِّينية (تتطلب مصالح الطبقة الوسطى وضع حدٍّ لها).
- حرية العبادة (من الحقوق الطبيعية للإنسان) (مرتين).
- حرية الاعتقاد (هي أحد عناصر الإطار العام لهذه النظرية (الليبرالية)).
- أحد رجال الدِّين ((سلوكه) على صفحات الجرائد).
- الكاثوليك والبروتستانت (رفض عقد ندوة حول الصراع بينهم في الإذاعة البريطانية) (مرتين).
- الكاثوليك (طلب عدم إذاعة ندوة حول صراعهم مع البروتستانت).
- البروتستانت (طلب عدم إذاعة ندوة حول صراعهم مع الكاثوليك).
- الإصلاح البروتستانتي (عندما بدأ يتحدى الكنيسة الكاثوليكية).
- الكنيسة الرومانية (استطاع الإنسان أن يتحدى سلطتها و يجادلها).
- التأثير الصهيوني (يختلف الكاتبون حول التأثير الصهيوني في مجال الإعلام).
- أيدي صهيونية (البعض يفسر ما يحدث في العالم أنّ وراءه أيدي صهيونية).
- الصهيونية (مجال الإعلام العالمي واضح فيه الصهيونية بلا جدل).

التحريف عينه لا تنفرد به هذه الكتب وما وراءها من كتابات أكاديمية وجامعية، فقد امتد إلى البحوث القصيرة والكتابات العادية.

يجد هذا الأمر توكيداً في عيّنة من بحثين اشترك في عرضهما على شبكة الانترنت عدد كبير من المواقع العربية والإسلامية هما: « الليبرالية نشأتها وتطورها ومجالاتها » و « نظرة في .. الليبرالية .. من الداخل »[1].

البحثان من أدلة انسياق البحوث والمقالات في تحريف كنه الليبرالية على غرار كتب الإعلام الإسلامية العربية والكتابات الأكاديمية والجامعية.



(١) عرضنا لهما بالتحليل في الملحق الخامس.

تحريف الليبرالية في كتب الإعلام الإسلامية العربية

مراجع أساتذة الإعلام المسلمين العرب في الكتابة في الليبرالية.

يعرض هذا السياق لمراجع أساتذة الإعلام المسلمين العرب ومستنداتهم في كتبهم سعياً إلى الإحاطة بموقع هذه الكتب من علاقة الليبرالية بالدِّين.

الكتابات التي ذكر المؤلفون أنهم رجعوا إليها في الكتابة عن الليبرالية:

• **الإعلام له تاريخه ومذاهبه.** جمع مؤلفه أمر مراجعه في أنه «استوحى» في بحثه تاريخ الإعلام ومذاهبه كلاًّ من الفكر الأوروبي الحديث والمؤلفات الأوروبية الحديثة، وأنه «استوحى» كذلك التاريخ الإسلامي. ص: ٧.

• **المسؤولية الإعلامية في الإسلام.** كتب مؤلفه أنّ مراجعه فيه « يمكن تقسيمها إلى أربع مجموعات رئيسية: المصادر الإسلامية والمجموعة الإعلامية، ومجموعة كتب المستشرقين ثم مجموعة المقالات والدوريات ». ص: ١٣.

ذكر بهامش حديثه عن نظرية الحرية (ص: ٢١٥) استناده إلى كتابين هما:

- الإعلام والتحول الاشتراكي؛ مختار التهامي .... دار المعارف، الطبعة الأولى ١٩٦٦.
- الإعلام له تاريخه ومذاهبه؛ عبد اللطيف حمزة دار الفكر العربي، ط. ١ - ١٩٦٥.

وذكر بهامش حديثه عن النظرية الليبرالية للإعلام (ص: ٢٢٠) اقتباساً من كتاب وسائل الإعلام والمجتمع الحديث.

• **مقدمة في علم الاتصال.** ذكر مؤلفه استناده في الحديث عن النظريات الأساسية إلى:

– An Introduction to Mass Media ; Fred Fedler ; (N.Y. : Harcourt, Brace, Jovano-vich Inc; 1978).

ذكر بهامش حديثه عن النظرية الليبرالية استناده إلى:

– Two Concepts of Mass Communication In Responsibility In Mass Communication ; Wilbur Schramm ; (New York : Harper and Row, 1975) .

– Fred Fedler .

– Mc Donald .

ذكر بهامش المقارنة بين النظريتين الاستبدادية والليبرالية استناده إلى عرضٍ صحافي لكتاب: الإعلام اليوم. .... بَارْنَارْ فْوَايَانْ

L'information aujourd'hui ; Bernard Voyenne 1979.

• **نحو إعلام إسلامي. إعلامنا إلى أين ؟** : حدّث فيه مؤلفه عن النظرية الفردية للإعلام وقد استعاض بلفظ فرديةٍ عن لفظ ليبراليةٍ و أشار إلى استناده إلى كتاب:

- المسؤولية الإعلامية في الإسلام؛ محمد سيد محمد.

• **فن الخبر الصحفي**: لا إشارة فيه إلى مرجع في الموضوع.

• **الخبر الصحفي وضوابطه الإسلامية**: أشار فيه كاتبه بهامش حديثه عن مفهوم الخبر في النظرية الليبرالية إلى استناده إلى كتاب:

- الإعلام والتحول الاشتراكي؛ لمختار التهامي - دار المعارف - القاهرة، ١٩٦٦م.

أشار أيضاً إلى استناده إلى كتاب: وسائل الإعلام والمجتمع الحديث:

■ *William. L. Rivers & Theodore Peterson and Jay. W. Jensen : Media and Modern Societies . Rinehart Press. 1971. U.S.A; p. 77- 80.*



المراجع التي رجع إليها أساتذة الإعلام المسلمون العرب لم تحجب علاقة الليبرالية بالدِّين.

كتب العيّنة لم تذكر كتاب « الإعلام له تاريخه ومذاهبه » بين مراجعها إلاّ واحدا منها وإن لم يكن الاستناد إليه إلاّ في إيضاح مدلول حرية الصحافة [1].

ولقد سبق أنّه لم يرد في كتاب « الإعلام له تاريخه ومذاهبه » مرجع بعينه رجع إليه مؤلفه غير ملاحظة استيحاء الفكر الأوروبي الحديث والمؤلفات الأوروبية الحديثة، وملاحظة الريادة إذ كتب فيه مؤلفه:

« استخرت الله تعالى - كما يقول سلفنا الصالح - في وضع هذا الكتاب الذي أعتقد أنه الأول من نوعه باللغة العربية ». ص: ٧.

تكمن أهمية الأمر في اتخاذ المؤلفين كتاب «الإعلام له تاريخه ومذاهبه» مرجعاً للكتابة في نظرية الحرية: فقد استند إليه مؤلف كتاب « المسؤولية الإعلامية في الإسلام » الذي استند إليه بدوره مؤلف كتاب « إعلامنا إلى أين ؟ ».

يعنينا هنا من الأمر أنّ مؤلف كتاب « الإعلام له تاريخه ومذاهبه » يُظهر فيه أنّه بلغ صياغة نظريات في الإعلام وأنه جعلها أربعاً. فقد كتب:

---

(١) ورد في « المسؤولية الإعلامية في الإسلام » بعد إشارة إلى الاستناد إلى كتاب « الإعلام له تاريخه ومذاهبه » (ص: **١٢٠** و **١٢١**): « وهي الحقوق التي منها حرية العبادة وحرية التعبير أو حرية الصحافة بمعناها الشامل للإعلام. وهذه الحرية تقوم على تصورات منها أنّ الإنسان من حقه أن يتعرّف على الحقيقة وأن يسعى إلى معرفتها والاهتمام بهذه المعرفة. ومنها أنّ الوسيلة الوحيدة لمعرفة الحقيقة هي النقاش الحرّ، وكلما تضاربت الآراء وكلما تعدد الخلاف حولها وأتيح لكل ذي رأي أن يعرض رأيه .. أمكن للرأي الصائب أن يبرز ويتغلب. ومن هذا المعنى للحرية ضعف سلطان الدولة على الصحافة وفتح الباب لظهور نظرية الحرية في الإعلام. ثم شابها ما شاب النظام الاقتصادي والاجتماعي الليبرالي من سطوة الاحتكارات وخطرها ». ص: **٢١٥**.

« قلنا إنّ من الأمور البديهية أن يكون لكلّ زمان ومكان نوع من الإعلام يليق به، ويلائم ظروفه، ويحقق أغراضه، ويتمشى مع الأفكار التي تعيش معه ».

دليله في ذلك أنّ « الإعلام في إنجلترا غيره في أمريكا غيره في روسيا السوفيتية غيره في الجمهورية العربية المتحدة » وفي أنّ « الإعلام الإسلامي في عصر صاحب الرسالة غيره في عصر بني أمية، غيره في العصر العباسي، غيره في العصر الفاطمي غيره في عصر صلاح الدين، غيره في العصر الذي نعيش فيه ».

كتب في استرسال أنّ الإعلام جرى « في كلّ بلد من البلاد الإسلامية أو الأوروبية في المجرى الذي اختاره الحكام في هذا البلد أو ذاك »، وأنّ « السبب في ذلك هو أنّ العصور القديمة لم تكن تعرف من أنواع الحكم في الحقيقة غير الحكم المطلق وذلك باستثناء بلاد اليونان في عصر الجمهورية، وعصر الخلفاء الراشدين في الإسلام بعد عصر النبوة ».

أضاف أنّ « الحال قد بقي على ذلك حتى نمت هذه الديمقراطية نموها الطبيعي في الشرق وفي الغرب، ودخل العالم في عصر جديد يسمى (عصر الشعوب) ». ص: ٨٥.

قال قبل تفصيل النظريات أنّه « من السهل علينا أن ندرك لأول وهلة أنّ النظرية السوفيتية إنما تولدت عن نظرية السلطة وأنّ النظرية الخاصة بالمسؤولية الاجتماعية ليست إلاّ تحويراً أو تطويراً لنظرية الحرية ». ص: ٨٨.

كتب وهو يذكر الليبراليين بلفظ « الحريين » [1]: « وأما نظرية الحرية

---

[1] « ... لطفي السيد هو الذي اشتق التسمية المناسبة برأيه للدلالة على "الليبرالية"، فأطلق عليها اسم "مذهب الحريين" وفضلها على تسميتها بمذهب "الحرية" أو مذهب "الأحرار"، وكان يسميه مذهب "اللبراليزم" أي مذهب أهل السماح. ونادى بجعل هذا المذهب أساساً للنظام السياسي والاجتماعي، ولكل علاقة بين الفرد والمجتمع، أو بين الفرد والحكومة ». من مقال « كيف تسللت

وأصحابها يقال لهم الحريون فقد ظهرت نتيجة لتطورات كثيرة وخطيرة حدثت في العالم الأوروبي بنوع خاص، ومهدت لظهور الديمقراطية السياسية، كما مهدت لظهور أنواع أخرى من الحريات كالحرية الدينية والحرية الاقتصادية أو حرية التجارة. وهي التي كانوا يعبرون عنها بهذه العبارة: دعه يعمل .. دعه يمر. ثم تبع ذلك ظهور النظريات العقلية في عصر التنوير أو عصر النهضة. فاشتد بذلك ساعد **الحريين**، وطبعوا الحياة الأوروبية بطابع الحرية البحتة. وفي ظلّ هذه النظرية الأخيرة التي هي نظرية الحرية أصبح للفرد في المجتمع الأوروبي كيانه المستقل عن كيان الدولة. كما أصبح من حق الفرد في ذلك المجتمع الأوروبي أن يعتمد على نفسه – لا على الصفوة أو الخاصة – في الوصول إلى الحقيقة دون الرجوع في ذلك إلى الأرستقراطية الفكرية الممثلة في الحكماء والعلماء ورجال الدِّين أو الأئمة ». ص: **٩٠ – ٩١**.

تحول هنا إلى نظرية المسؤولية الاجتماعية وأتبع حديثه المختصر عنها بحديث عن النظرية السوفيتية ثم كتب في ختام الفصل التاسع: « وفيما بعد سوف نقف عند كلّ نظرية من هذه النظريات الأربع وقفة خاصة، لنسبر غورها ونشرح الظروف المحيطة بها، ونكشف عما وراءها من تراث عقلي أو فلسفي كان له دخل كبير في بنائها، أو الخروج بها إلى حيِّز العمل ». ص: **٩٢**.

يُبْدِي هذا العرض أنّ مؤلف كتاب « الإعلام له تاريخه ومذاهبه » قد خلص بنفسه إلى صياغة نظريات الإعلام الأربع بينما ورد في كتاب « مقدمة في علم الاتصال » في سياق استعراض النظريات الأساسية للصحافة أنّ أربع نظريات مهمة للصحافة **نُشِرَتْ** عام **١٩٥٦**م وأنّ أسماء ثلاثة باحثين اقترنت بهذه النظريات ليس بينها اسم عربي. تقترن الأسماء الثلاثة بنشر

الليبرالية إلى العالم الإسلامي ؟ » هو بحث موجز منقول بتصرف يسير من كتاب الدكتور بسام البطوش "الفكر الاجتماعي في مصر" ص **٩٣**-١٨٤.

النظريات الأربع. ورد ذكرها في سياق القول أنّ « كلاًّ من فْرَادْ سِيبَرْتْ *Fred S. Siebert* وثْيُودُورْ بِيتَرْسُونْ *T. Peterson* ووِيلْبَارْ شْرَامْ *W. Schramm* حرصوا على التركيز على العلاقة الوطيدة الموجودة بين وسائل الاتصال وبعض المفاهيم الأساسية التي يتمسك بها كلّ مجتمع ».

وردت أسماء هؤلاء الثلاثة بصفة مؤلفي الكتاب الذي رجع إليه مؤلف كتاب « الخبر الصحفي وضوابطه الإسلامية » في حديثه فيه عن نظرية السلطة ومفهوم الخبر.

أشار (ص: **٢٣**) إلى أنّ الثلاثة أوجدوا النظريات الأربع ونشروها تحت عنوان « نظريات الصحافة الأربع » *Four Theories of the Press* (1) وأنّ كتابهم صدر سنة **١٩٦٥**م.

لنسجل أنّ هذه هي سنة صدور الكتاب الأمريكي « الإعلام له تاريخه ومذاهبه » الذي عرض لنظريات الإعلام.

يشارك كتاب « الإعلام له تاريخه و مذاهبه » العربي الكتاب **الأمريكي** « نظريات الصحافة الأربع » في اعتبار نظريات الإعلام الأربع كانت نظريتين اثنتين؛ ويشاركه تسمية نظريتي السلطة والحرية؛ و تسمية نظريتي المسؤولية الاجتماعية والسوفييتية؛ ويشاركه القول بتولّد النظرية السوفييتية عن نظرية السلطة، و القول بأنّ نظرية المسؤولية الاجتماعية ليست إلاّ تحويراً أو تطويراً لنظرية الحرية.

سبق أنّ مؤلف كتاب « الإعلام له تاريخه و مذاهبه » أظهر بجلاء أنه لم يطّلع على كتاب الباحثين الأمريكيين، وأنّه إنما "استلهم" كتابات أوروبية؛ لكنّ قراءة في كتاب الباحثين الأمريكيين « نظريات الإعلام الأربع »

(*1*) *Four Theories of the Press; F. Siebert; T. Peterson; and W. Schramm. Urbana University of Illinois Press; 1965.*

تستدعي التوقف عند توكيدات دوّنوها في كتابهم [١].

لقد سجلوا في تقديم كتابهم أنّهم دَعَوْا النظرية الجديدة النظرية الليبرالية؛ وأنّهم دَعَوْا النظرية التي ليست غير تحوير للنظرية الليبرالية نظرية المسؤولية الاجتماعية [٢].

سجل هؤلاء الباحثون في ختام مقدمة كتابهم أنّ كلَّ فصل من فصول الكتاب الأربعة التي كتبوا في النظريات الأربع يمثل عمل كاتبه و أسلوبه ويعبّر عن رأيه، وذكروا لكل منهم ما كتب، فكانت نظريات:

الصحافة الاستبدادية *The Authoritarian Theory of the Press* .... فْرَادْ سْيِيبَرْتْ.

الصحافة الليبرالية *The libertarian Theory of the Press* .... فْرَادْ سْيِيبَرْتْ.

صحافة المسؤولية الاجتماعية *The Social Responsibility Theory of the Press* ثْيُودُورْ بِيتَرْسُونْ.

الصحافة الشيوعية السوفيتية *The Soviet-Totalitarian Theory of the Press* وِيلْبَارْ شْرَامْ.

إنّ أفكارًا كثيرة وملاحظات عديدة سبقت في كتاب « نظريات الصحافة الأربع » الأمريكي تكررت في الكتاب العربي: « الإعلام له تاريخه ومذاهبه»، وهذا الأمر يستدعي نظرة فاحصة في سياقي موضوع الليبرالية والحرية في الكتابين العربي والأمريكي.

أول ما تكشف عنه صفحات كتاب « نظريات الصحافة الأربع » هو أنّ تاريخ **١٩٦٥م** الذي ذكره مؤلف كتاب « الخبر الصحفي وضوابطه الإسلامية » يكون هو تاريخ إصدار الطبعة التي رجع إليها هو. أمّا إصدار الكتاب أول مرّة فقد تمّ سنة **١٩٥٦م** وقد وردت في «مقدمة في علم الاتصال».

---

(١) سبقت قبل أسطر ملاحظة أنّ محمد سيد محمد لم يدلّ على المرجع الذي نُشر فيه الجدول المختصر الذي وضع فيه سْيَبَرْتْ عناصر للمقارنة بين النظريات. كتاب نظريات الإعلام الأربع *Four Theories of the Press* هو هذا المرجع الذي يضم الجدول.

(٢) مقاطع من المقدمة في النص الأصلي باللغة الإنجليزية في الملحق السادس.

ظهر كتاب « نظريات الصحافة الأربع » **بأمريكا** سنة **١٩٥٦**م وقد ضمّ ما تعلّق في بالإعلام أو بنظريات الإعلام في أبحاث الباحثين الأمريكيين الثلاثة التي أنجزوها بطلب من هيئة تابعة للبروتستانت، هي مجلس الكنائس القومي الأمريكي *National Council of Churches* وقد سجّلوا شكرهم للمجلس ترخيصه إصدار أبحاثهم في شكل كتاب هو كتاب « نظريات الصحافة الأربع ».

إنّ قراءة ما ورد في الكتابين العربي والأمريكي في موضوع النظرية الليبرالية أو نظرية الحرية لتكشف أنّ نص الفصل الثاني عشر من كتاب « الإعلام له تاريخه و مذاهبه » الذي تناول فيه مؤلفه سنة **١٩٦٥** هـ نظرية الحرية (ص **١١٥-١٢٤**) يطابق نص الفصل الثاني من كتاب « نظريات الصحافة الأربع » الذي كان فْرَادْ سْيِيبَرْتْ قد تناول فيه النظرية الليبرالية قبل ذلك بأكثر من عشر سنوات [١].

وجب الإقرار هنا أنّ مساهمة الباحث فْرَادْ سْيِيبَرْتْ في كتاب « نظريات الإعلام الأربع » *Four Theories of the Press* كانت مرجعًا من مراجع الأستاذ العربي في فصول من كتاب « الإعلام له تاريخه ومذاهبه ».

إنّ هذا الكتاب الذي ورد فيه أنه سبق بين الكتابات العربية في نظريات الإعلام، والذي اتُخذت فصوله في الليبرالية مرجع كتابات أساتذة الإعلام المسلمين العرب في الليبرالية والحرية، والذي احتجب منه ذكر الرجوع إلى كتاب الباحثين الأمريكيين، كتاب يشكو فوق ذلك من أمرين اثنين رئيسين يقترنان بالليبرالية وبالحرية بما هي عليه هنالك في الغرب، أوجز فيهما فْرَادْ سْيِيبَرْتْ وأفاد؛ هما أنّ النظرية الليبرالية في طبيعة المعرفة وفي طبيعة "الحقيقة" تشبه بقوةٍ مذاهب المسيحيين اللاّهوتية الأولى، وأنّ

---

(١) مقاطع في الملحق السابع.

"الإصلاح" البروتستانتي وإن كان جدالاً لاهوتياً وسياسياً فإنه قد أصبح هو مصدر الليبرالية الغربية المزعج ! ص: **٤٢**.

انتهى فْرَادْ سْيِيبَرْتْ إلى أنّ نمط الجدال والاستدلال الذي أنتجه لاهوت الإصلاح البروتستانتي تحول إلى المجال الدنيوي أو الفكري الصرف.

أسقط المؤلف العربي هذه الخلاصة مما نقل عن فْرَادْ سْيِيبَرْتْ فألغى مرة أخرى مرجع الليبرالية الديني أو اللاّهوتي الذي أجلاه الباحث الأمريكي للنصارى.

وإذ تبع أساتذةُ الإعلام المسلمون العرب المؤلف العربي بتزكيةٍ لا مبرر لأحد منهم فيها، فقد حجبوا بدورهم لاهوت الليبرالية وبتروا ما يربطها بخلفيتها الدينية.

مبررات الكتابات الإسلامية العربية في حجب لاهوت الليبرالية وخلفيتها الدينية

يجد الإحجام عن ذكر اللاّهوت مبررات يشير إليها بعض ما ورد في كتاب « مستقبل الصحافة في مصر » [١] الذي ألفه كاتب « الإعلام له تاريخه ومذاهبه ». كتب هنالك:

الخلاصة في أثر الحضارة الأوروبية التي التقت على أرض مصر بالحضارة الإسلامية أنها - بغض النظر عن سوآتها- قدمت للمسلمين هذه الأفكار:

أولا: فكرة الحرية الشخصية، وفكرة الوطن والوطنية، وفكرة الأخوة الإنسانية ...

ثانيا: فكرة الدستور والمطالبة بالحياة النيابية ...

ثالثا : فكرة تحرير المرأة...

رابعا: فكرة الأخذ من العلوم الحديثة ...

خامسا: ...

الفكرة الخامسة التي رأى أنّ الحضارة الأوروبية قدمتها للمسلمين على أرض مصر هي الفكرة التي قال إنها أغرت باعتناقها الكثيرين من المصريين عقب فراغهم من قراءة التاريخ الأوروبي، هي فكرة الفصل بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية.

كتب إذن أنّ من أروع صفحات التاريخ الأوروبي صفحة النزاع المرير بين الدولة والكنيسة، وتساءل عن نسيان "محاكم التفتيش" و"صكوك الغفران" و"وقوف الملوك أذلاّء بين أيدي الباباوات". ص: ١٥٨.

أشار قبل ذلك إلى أنّ فكرة الفصل بين السلطة الدينية والسلطة

---

(١) مستقبل الصحافة في مصر، تأليف عبد اللطيف حمزة؛ دار الفكر العربي. سنة ١٩٦١م.

الدنيوية قد أغرت غيره، وسجل على « بعض الشرقيين » أنهم كانوا يتأثرون أحياناً بكلام الأوروبيين وكانوا يودّون أن يجاهروا برأيهم في هذا الموضوع.

وإذ أضاف اغترارٍ غيره بالموضوع إلى تأثرهم به، ذكر أنّ عبد القادر حمزة كتب مقالاً بعنوان خطر علينا وعلى الدِّين، سأل فيه: هل في النداء بالدِّين فائدة ؟ وقال أنه يريد بذلك أن يكون مقلّداً لبعض مفكري الغرب فيما ذهبوا إليه من أنّ الدِّين هو السبب الحقيقي في تأخير المسلمين، وذلك لانقيادهم له انقيادا أعمى.

ذكر أيضاً دعوته المسلمين إلى أن لا يقحموا الدِّين في كلّ شيء.

أجلى رأيه هو في الموضوع في سياق توكيدٍ منه بأنّ كاتب مقال « خطر علينا وعلى الدِّين » كان متأثراً بكلّ من تاريخ النهضة الأوروبية وتاريخ الصراع بين الكنيسة والدولة. فقد كتب أنّ فصل السلطة الدينية عن السلطة الدنيوية الذي لم يخف أنه نتج عن نزاع بين الدولة وبين الكنيسة كان فكرة جميلة وأنه بعض ما أفاده المسلمون من الحضارة الأوروبية الحديثة.

ولقد أتى حين من الدهر أصبح بين المسلمين مَن يقول بالفصل كما يقول غير المسلمين ويسوق له بين المسلمين ذرائع كثيرة.

قال هؤلاء المسلمون بالفصل بعد إذ أفسحوا لاحتضان هذه الدعوة مقتلعة من منبتها الكنسي، وقد يسّروا بها فتح بابٍ لا صدّ الوهن عن ذويهم ولا هو بصادّه عنهم.

إنّ الكاتب وهو يعبّر عن استحسان « الفكرة الجميلة » يُظهر أنه لم يهمل الدِّين ولم يفرّط فيه. فقد عنيّ في « الإعلام له تاريخه ومذاهبه » بالمشروعات التي قال إنه اقترحها في كيفية مقاومة الدعاية الصهيونية. اقترح هنالك الدعوة إلى استغلال "العاطفة الدينية" عن طريق المساجد

والجوامع وغيرها من أماكن التجمعات الكبيرة في داخل الأمّة العربية وأشار إلى سابقة أو إلى سابق تجربة بقوله: هنا لا ينبغي أن ننسى الجامع الأزهر.

كتب: « فكم كان لهذا الجامع القديم من اتصال كبير بالحوادث الهامة التي وقعت في البلاد العربية. كنّا نجتمع فيه كلّما حزبنا أمر من الأمور السياسية، وكم اجتمعنا به في أثناء الحروب الصليبية كما كنّا نجتمع لهذا الغرض في المسجد الأموي بدمشق، وكان هذا المسجدان الكبيران – وهما الجامع الأزهر والجامع الأموي – مصدر إشعاع ثوري كبير بقيادة البطل صلاح الدّين. وقد اجتمعنا بالأزهر أيضاً في حرب السويس »؛ ص: ١٩٦-١٩٧.

إنّ الكاتب وإن رأى توظيف الدِّين باستغلال العاطفة الدّينية، فقد أبدى أنه يعمل بدوره بالفكرة الجميلة وأنه يخدمها بين المسلمين بتأسيسها على ما تآلفت عليه أقلام وأذهان عربية وإسلامية كثيرة، وهو أنّ « الحضارة الإسلامية في جملتها حضارة دينية المصدر والنشأة بينما الحضارة الحديثة حضارة: قائمة على أسس عقلية وعلمية بحتة ». ص: ١٤٢.

هذا الكلام الذي يكاد يتحول إلى مسلّمة، يعني أنّ الحضارة الحديثة أو الحضارة الغربية حضارة لا دِينَ لها وأنّ الذين أسسوا لها لا دِين لهم !

إنه كلامٌ غير مؤسس بما يدلّ عليه الإعراض فيه عن تدبّر سنن الخَلْقِ والإعراض عن النظر في مسارات التمدّن: إنّ مراجعة التاريخ التي سبقت في أول فصلٍي هذا البحث قد كشفت أنّ الحضارة الغربية القائمة إنما تأسّست بدايةً من القرن السابع عشر الميلادي بدفع من المذهب جديد في تفسر الكتاب المقدس أحد أركانه الاعتقاد بالقدَر بفحوى خلق البعض للجنة وخلق البعض الآخر لجهنم، كما كان معلوماً بين المتعلمين من النصارى ومن اليهود دون المسلمين الذين يظهرون تجاهل هذا الأمر ...

إنّ فكرة تأسيس الحضارة الغربية على « أسس عقلية وعلمية بحتة » دعوى عديمة الصواب وعظيمة المفسدة وقد ثبت بطلانها في مثل أطروحة عالم اجتماع ألماني مَاكْسْ رِيبَرْ خصيم الملحد كَارْلْ مَارْكْسْ. عنوان الأطروحة الذي تُنشر به منذ أكثر من قرن من الزمان هو « الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية ». تتجاهلها أقلام المسلمين بينما هي أطروحة تساعد في رفع اللثام عن روافد من تمنّع الارتقاء عن المسلمين.



ختامًا

ختاماً فإنّ رائد الكتابة الإسلامية العربية في الإعلام حَجَبَ نصرانية الحضارة القائمة في الغرب أو حجب "مسيحيتها" بحجب نصرانية أو "مسيحية" أُسُسِهاَ بعد إغفال نصرانية أو "مسيحية" فلاسفتها وإغفال نصرانية أو "مسيحية" كتاباتهم.

وإنّ أساتذة الإعلام والكتّاب المسلمين العرب وقد اتخذوا من كتاباته مرجعاً واتخذوا من حَجْبَ نصرانية الليبرالية أو "مسيحيتها" منهجاً في الكتابة عنها، فإنهم قد أسكنوا في كتاباتهم علّة هي مصدر ضرر للمسلمين.

إنّ في حجب الكتابات الإسلامية العربية علاقة الليبرالية باللاّهوت وفي إهمالها كلاًّ من خلفية الليبرالية الدينية ومنبتها الدِّيني، عملٌ يفتقر إلى الصواب إذ يحوّل مذهباً مستخلصاً من تفسير الكتاب المقدس تفسيراً غير التفسير الكاثوليكي إلى خلاصات تبدو مثل جهود فكرية لا علاقة لها بالكتاب المقدس وتبدو من ثمة غير ذات علاقة بالدِّين.

تفسح هذه الخلاصات لإقبال المسلمين عليها في مساعي الخروج مما طال بهم الزمن فيه، غير أنّ الخلفية المترسبة في هذه الكتابات لا تتقبّل "الأسلمة" وتتوجه بالمسلمين، وقد توجهت بهم جيلاً بعد جيل، نحو المسالك التي يتمنّع عنهم فيها الارتقاء وهذا أمرٌ ثابت للألباب والعيان.



ملحقات

الملحق الأول

فلاسفة الليبرالية في كتب أساتذة الإعلام من عرب ومسلمين.

أ. جُونْ لُوكْ

الإعلام له تاريخه ومذاهبه. رأى عبد اللطيف حمزة في جُونْ لُوكْ أحدا أشهر الفلاسفة الذين تعرضوا لشرح التطور الجديد الذي طرأ على الحياة في إنجلترة في القرن السابع عشر. رأى له فلسفة قال إنها تركت آثارا بعيدة المدى في جميع المفكرين الذين أتوا من بعده.

جعل القارئ أو الباحث يعرف أن جُونْ لُوكْ قد بنى تفكيره على أساس من الرأي القائل أن الشعب هو مصدر السلطات وأن الحكومة ليست إلا هيئة من الأوصياء اختارها الشعب، وفوض إليها أمره. أضاف أن جُونْ لُوكْ ذهب في أمر ذلك التفويض إلى أن من حق الشعب دائما أن يسحب هذه السلطة متى شعر أن الحكومة لا تعمل لصالحه.

وجد عند جُونْ لُوكْ مبادئ قال إنها لقيت تقديرا كبيرا من جمهور المثقفين ثم شهد أن منها اقتبست الثورتان الفرنسية والأمريكية كثيرا من الأفكار التي أجرى عليها صفة التقدمية. ص: ١١٦ - ١١٧.

المسؤولية الإعلامية في الإسلام. شهد محمد سيد محمد بدوره في سياق حديثه المطول عن النظرية الليبرالية للإعلام أن جُونْ لُوكْ كان صاحب فلسفة في الحرية قال إنها ترتكز على أن الشعب هو مصدر السلطات و أن الحكومة ليست إلا هيئة اختارها الشعب وفوضها في أمره. أضاف بدوره أيضاً أن من حق الشعب دائما أن يسحب منها هذا التفويض متى أحس أنها لا تعمل لصالحه. ص: ٢١٨.

مقدمة في علم الاتصال. ذكر نبيل عارف الجردي جُونْ لُوكْ بين من رأى فيهم فلاسفة قال إنهم ظهروا في القرنين السادس والسابع عشر. رأى

عندهم مناقشة العلاقة بين الأفراد والمجتمع ونسب إليهم فكرة استقلال وحرية الأفراد في المجتمع وفكرة أن الحكومة وجدت لحماية حقوقهم. ص: ٧٤.

إعلامنا إلى أين ؟ في سبيل إعلام إسلامي. ذكر علي محمد جريشة جُونْ لُوكْ على هامش حديثه عما سماه النظرية الفردية في الإعلام.كتب: ولقد تجد النظرية من كتابات أصحاب المذهب الفردي الذي تبنته الثورة الفرنسية بعد ذلك قد يكون من ذلك كله ما يدعم هذه النظرية. أشار هنا إلى الهامش حيث كتب: يشير الكاتبون في هذا الموضوع إلى فلسفة جُونْ لُوكْ في القرن السابع عشر حول الحرية وارتكازاتها إلى أن الشعب مصدر السلطات. أنهى الهامش بما سبق ذكره في حديثه عن جون ميلتون وهو قوله: « مزيدا من التفصيلات: الدكتور محمد سيد محمد في كتابيه القيمين عن الإعلام ». ص: ٣٠.

مدخل إلى علوم الإعلام والاتصال. لم يذكر فيه زهير إيحدان جُونْ لُوكْ.

ب- جُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ

الإعلام له تاريخه ومذاهبه. رأى عبد اللطيف حمزة لـجُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ فلسفة قال إنه بناها على قاعدة المنفعة التي أكد أنّ القول بها ساد في القرن التاسع عشر. أكد أنّ جُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ عالج كلا من فكرة السلطة وفكرة الحرية من زاوية فلسفة المنفعة التي عُرِفَ بها.

ذهب المؤلف إلى أنّ جُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ خصّ الفرد « الناضج » في المجتمع بالقول أنّ من حقه أن يفكر ويتصرف كما يشاء ما دام لا يؤذي أحدا بتفكيره وتصرفه، وما دام هذا التفكير والتصرف يؤدي إلى منفعته.

تحول إلى رأي جُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ في التصرفات الإنسانية ونقل منه وجوب أن تهدف جميعا إلى البناء وإلى الوصول إلى حياة أفضل وسعادة

أكبر. وراء ذلك أنّ المجتمع الفاضل هو المجتمع الذي يتمتع فيه أكبر عدد من أفراده بأعلى ما يمكن من درجات السعادة والرفاهية. شرط ذلك أن يمنح المجتمع أفراده الحق كل الحق في أن يفكروا بأنفسهم ولأنفسهم، ويصلوا إلى ماشاءوا من قرارات.

رأى المؤلف أنّ في كتب جُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ شعاراتٍ هي:

- إذا أسكتَ رأيا فقد أخفيتَ حقيقةً.
- الرأي الخطأ قد يحوي بذورا للحقيقة: ومن الجائز أن يؤدي إليها كاملةً.
- الرأي الصائب كثيرا ما تسيء الجماهير ظناًّ به. ولا ترجع الجماهير عن هذا الاعتقاد إلاّ إذا اضطرت إلى الدفاع عنه.
- الآراء الصائبة ما لم تعارَض من الآخرين بين حين وحين فقدت حيويتها وتأثيرها على نفوس المواطنين وسلوكهم.
- إذا آمن كلّ البشر برأي، وجاء فرد واحد برأي جديد يخالفه، ثم حاولت البشرية جمعاء أن تسكت هذا الرأي كان خطؤها في ذلك لا يقل عن خطإ الفرد الواحد حين تصبح له سلطة تامة وحاول إسقاط الرأي الذي اجتمعت عليه البشرية. ص: ١١٨- ١١٩.

المسؤولية الإعلامية في الإسلام. اقتضب حديث محمد سيد محمد عن جُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ وتميّز بما ذهب إليه من أنّ في فلسفة جُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ منطلقات للحرية شهد أنها منطلقات باهرة تتمثل في الأقوال التي ساق – استدلالاً – أو التي استخرج من فلسفة جُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ وهي ما سمّاه عبد الطيف حمزة شعارات:

- إذا أسكتَ رأيا فقد أخفيتَ حقيقة.
- الرأي الخطأ قد يحوي بذوراً للحقيقة، ومن الجائز أن يؤدي إلى الحقيقة برمتها.
- الآراء الصائبة ما لم تتعارض مع الآخرين بين حين وحين فقدت حيويتها وتأثيرها على نفوس المواطنين وسلوكهم.

– إذا اعتنق البشر جميعاً رأياً واحداً، وجاء فرد واحد برأي جديد يخالفه، ثم حاول البشر جميعا إسكات هذا الرأي كان خطؤهم في ذلك لا يقلّ عن خطأ الفرد الواحد حين يصبح له سلطة تامة وحاول إسقاط الرأي الذي اجتمع عليه البشر جميعاً. ص: ٢١٨- ٢١٩.

مقدمة في علم الإتصال. خصّ نبيل عارف الجردي جُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ بحديث قال فيه إنه كتب مقاله الشهير بعنوان « في الحرية » *On liberty* عام ١٨٥٩م عندما كانت المملكة المتحدة في أوج مجدها كقوة تلعب دورا على المسرح المحلي الأوروبي والدولي.

سَجَّلَ أنّ جُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ بدأ مقاله بالتمييز بين الفرد والمجتمع وساق رأيه بأنّ البشر جميعاً لو اجتمعوا على رأي واحد وخالفهم في الرأي فرد واحد لما كان لهم أن يسكتوه بنفس القدْر الذي لا يمكن لهذا الفرد من إسكاتهم لو كانت له القوة والسلطة على ذلك.

تساءل عن السبب وأورد إجاباتٍ صاغ سياقها صياغة حولت القارئ العربي المسلم إلى طرف فيها. كتب: لقد أجاب جُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ على هذا المقال في أربع نقاط:

(١) إذا أسكتنا صوتا ما فربما نكون قد أسكتنا الحقيقة نفسها، **(٢)** حتى الرأي الخاطئ ربما حمل في جوانبه بذور الحقيقة الكاملة، **(٣)** إنّ الرأي المجمع عليه لا يمكن قبوله على أسس عقلية إلاّ إذا دخل واقع التجربة والتمحيص، **(٤)** إنّ الرأي المجمع عليه ما لم يواجه تحدياً من وقت لآخر فإنه سيفقد أهميته وتأثيره. ص: ٧٥.

إعلامنا إلى أين ؟ في سبيل إعلام إسلامي. ذكر علي محمد جريشة جُونْ سْتِيوَارْتْ مِيلْ على هامش عرض النظرية الفردية في الإعلام قائلاً إنّ الكاتبين يشيرون في موضوع كتابات أصحاب المذهب الحرّ إلى: فلسفة

جُونْ لُوكْ [...] كما يشيرون إلى جون ميلتون [...] كما يشيرون إلى ستيوارت ميل وقوله: إذا أسكت رأياً فقد أخفيت حقيقة ... إلخ. ص: ٣٠.

ج- جُونْ مِيلْتُونْ

الإعلام له تاريخه ومذاهبه. استعرض عبد اللطيف حمزة مَن رأى فيهم فلاسفة ساهموا بجهد كبير في الانتصار لما سماه مذهب الحرية. كتب: فالأول وهو مِيلْتُونْ – في كتابه *Areopagitica*– وهو كتاب ظهر في سنة ١٦٤٤، نجد مناقشات عنيفة لحرية الفكر في النظام الحر، كتبه الرجل تحت شعور بالكراهية لنظام الرقابة على الصحف، وذهب فيه إلى أن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى الصواب في مسألة من المسائل حتى يستمع إلى آراء المخالفين له في هذه المسألة، ذلك أن الحقيقة لا تضمن لنفسها البقاء إلا إذا أتيحت لها الفرصة لأن تتقابل وجها لوجه مع غيرها من الحقائق في صراحة كاملة وحرية تامة. أضاف في استدراك أنه كان من رأي ملتون على كل حال، أن يكون حق المناقشة مقصورا على رأي الحكماء والعقلاء وذوي الثقافة العالية والآراء المخلصة، بشرط ألا تكون هذه الآراء خاضعة لرقابة الحكومة.

نسب إلى جُونْ مِيلْتُونْ مبادئ قال إنها لم تلق ما تستحقه من التشجيع من معاصريه وأنها لقيت هذا التشجيع حين عادت إلى الحياة في القرن الثامن عشر، وانتشرت في إنجلترا وأمريكا. ص: ١١٧.

المسؤولية الإعلامية في الإسلام. وجد محمد سيد محمد عند جُونْ مِيلْتُونْ فلسفة في الحرية قال عنها تقرر أن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى الصواب في مسألة من المسائل حتى يستمع إلى آراء مخالفيه في هذه المسألة. وأن الحقيقة لا يكتب لها البقاء إلا إذا أتيحت لها فرصة بأن تتقابل وجها لوجه مع غيرها من الحقائق في صراحة كاملة وحرية تامة. ص: ٢١٨.

نحو إعلام إسلامي. إعلامنا إلى أين ؟ أورد علي محمد جريشة بهامش حديثه عن مرجع النظرية الفردية في الإعلام، أنّ جُونْ مِيلْتُونْ ردّد بدوره

أنّ الإنسان لا يصل إلى الصواب إلا إذا استمع إلى آراء مخالفيه، وأنّ الحقيقة لا يكتب لها البقاء إلا إذا وضعت أمام غيرها من الحقائق وجها لوجه. ص: ٣٠.

مدخل لعلوم الإعلام والاتصال. كتب زهير إيحدادن أنّ جُونْ مِيلْتُونْ أصدر سنة ١٦٤٤م "نداء حاراً" يطالب فيه بحرية التعبير صار بعد ذلك مرجعا لكل الفلاسفة والسياسيين. ص: ٤٣.

د- طُومَاسْ جِيفَرْسُونْ

الإعلام له تاريخه ومذاهبه. اتخذ عبد الطيف حمزة من طُومَاسْ جِيفَرْسُونْ أحد الفلاسفة الذين ساهموا بجهد كبير في الانتصار لمسمى المذهب الحر سند نظرية الحرية. أفرد لهذا الفيلسوف حديثا قال فيه:

أما جِيفَرْسُونْ الأمريكي فكان فيلسوفا وسياسيا في وقت معا، وكان يؤمل دائما في إيجاد حكومة تكفل الأمن، وتمنح الفرص المتكافئة للأفراد في المجتمع، وكان يعلم أن الأفراد قد يخطئون في التفكير، ولكنه يعلم أيضا أن في وسع الأغلبية العظيمة أن تصل إلى قرارات حكيمة مادامت تقرأ الصحف، ومادامت الصحف هي المصدر الرئيسي للمعلومات التي يحصل عليها الفرد في المجتمع. وفي مقابل هذا الواجب الملقى على عاتق الصحافة يجب أن يكون لها حق واضح في الحرية ونصيب كبير منها، ومن هنا لا ينبغي - في نظر جِيفَرْسُونْ - أن تكون الصحافة خاضعة لرقابة الحكومة، وليس من حق الحكومة في هذه الحالة أكثر من رسم الإطار العام لحياة الأفراد لكي يصلوا إلى تحقيق أهدافهم الخاصة والعامة، ومن هنا كذلك يرى جِيفَرْسُونْ أن الحكومة التي لا تصمد لمواجهة النقد ينبغي لها أن تسقط وتفتح الطريق لحكومة أخرى، ذلك أن القوة الحقيقية لكل حكومة إنما تكمن وراء استعدادها أو قدرتها على مقابلة النقد برحابة صدر. ص: ١١٩- ١٢٠.

المسؤولية الإعلامية في الإسلام. خص محمد سيد محمد طُومَاسْ جِيفَرْسُونْ بأسطر في سياق استعراض دعامة النظرية الليبرالية للإعلام الفلسفية. كتب: و في القرن التاسع عشر أيضا نرى (توماس جيفرسون) يقول: إنه لما كان أساس الحكومات هو رأي الناس، ينبغي أن يكون الهدف الأول هو المحافظة على ذلك الحق ذاته، وأنه إذا خير بين حكومة بلا صحافة أو صحافة بلا حكومة لما تردد لحظة في اختيار الصحافة. ص: **٢٢٠.**

مقدمة في علم الاتصال. أورد نبيل عارف الجردي إسم طُومَاسْ جِيفَرْسُونْ في القائمة التي ذكر فيها عددا من الفلاسفة. كتب:

وعند ظهور الفلاسفة في القرنين السادس والسابع عشر بدأوا يناقشون العلاقة بين الأفراد والمجتمع، وذكروا أن الأفراد في المجتمع مستقلون وأحرارا، وقد وجدت الحكومة لحماية حقوقهم ومن هؤلاء الفلاسفة: ديكارت، وجُونْ لُوكْ، وجون ميلتون، وتوماس باين، وجون ارسكين وتوماس جيفرسون. ص: ٧٤.

مدخل لعلوم الإعلام والاتصال. لم يذكر فيه زهير إيحدادن طُومَاسْ جِيفَرْسُونْ.

نحو إعلام إسلامي. لم يذكر فيه على محمد جريشة طُومَاسْ جِيفَرْسُونْ.



الملحق الثاني

كتابات أساتذة الإعلامٍ المسلمين العرب حولت شاعراً كتابياً إلى فيلسوف

يرد ذكر اسم جُونْ مِيلْتُونْ في الكتابات العربية كما يرد في كتابات الغربيين، غير أنّ النعت الذي تنعته به الكتابات الإسلامية أرقى مما تصفه به كتابات ذويه في الغرب؛ وهذا في وجه منه مثال أثر من آثار اعتلال الاعتقاد بالقضاء والقدَر.

يجلو الأمر باستعراض كتابات المسلمين العرب من خلال عيّنة من الكتب الموجهة لدارسي الإعلام في الجامعات العربية، ثم مقارنة ما يوصف به جُونْ مِيلْتُونْ فيها بما يرد عنه في كتابات الغربيين [١].

جُونْ مِيلْتُونْ في كتابات أساتذة الإعلام الإسلامية العربية

الإعلام له تاريخه ومذاهبه. كتب عبد اللطيف حمزة في سياق استعراض مَنْ رأى فيهم فلاسفة قال إنهم ساهموا بجهد كبير في الانتصار لما سماه مذهب الحرية:

فالأول وهو مِيلْتُونْ ـ في كتابه *Areopagitica* ـ وهو كتاب ظهر في سنة ١٦٤٤، نجد مناقشات عنيفة لحرية الفكر في النظام الحر، كتبه الرجل تحت شعور بالكراهية لنظام الرقابة على الصحف، وذهب فيه إلى أن الإنسان لا

---

(١) عيّنة الكتب:

- الإعلام له تاريخه ومذاهبه؛ عبد اللطيف حمزة .... دار الفكر العربي، القاهرة؛ **١٩٦٥** م.
- المسؤولية الإعلامية في الإسلام؛ محمد سيد محمد ..... المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر؛ **١٩٨٦** م.
- في سبيل إعلام إسلامي. إعلامنا إلى أين ؟ علي محمد جريشة ...... دار الإرشاد، الجزائر؛ **١٩٩٠** م.
- مدخل إلى علوم الإعلام والاتصال؛ زهير إيحدادن .... ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر؛ **١٩٩١** م.
- مقدمة في علم الاتصال؛ نبيل عارف الجردي .... مكتبة الإمارات ـ العين؛ **١٩٨٥** م.

يستطيع أن يصل إلى الصواب في مسألة من المسائل حتى يستمع إلى آراء المخالفين له في هذه المسألة، ذلك أن الحقيقة لا تضمن لنفسها البقاء إلا إذا أتيحت لها الفرصة لأن تتقابل وجهًا لوجه مع غيرها من الحقائق في صراحة كاملة وحرية تامة.

أضاف في استدراك أنه كان من رأي مِيلْتُونْ على كل حال، أن يكون حق المناقشة مقصورا على رأي الحكماء والعقلاء وذوي الثقافة العالية والآراء المخلصة، بشرط ألا تكون هذه الآراء خاضعة لرقابة الحكومة.

نسب إلى جُونْ مِيلْتُونْ مبادئ قال إنها لم تلق ما تستحقه من التشجيع من جانب معاصريه، وأنها لقيت هذا الرواج أو التشجيع حين عادت إلى الحياة في القرن الثامن عشر، وانتشرت في انجلترا وأمريكا في غضون ذلك القرن. ص: ١١٧.

المسؤولية الإعلامية في الإسلام. وجد محمد سيد محمد عند جُونْ مِيلْتُونْ فلسفة في الحرية قائلا إنها تقرر أن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى الصواب في مسألة من المسائل حتى يستمع إلى آراء مخالفيه في هذه المسألة. وأن الحقيقة لا يكتب لها البقاء إلا إذا أتيحت لها فرصة بأن تتقابل وجهًا لوجه مع غيرها من الحقائق في صراحة كاملة وحرية تامة. ص: ٢١٨.

مقدمة في علم الاتصال. صفّ نبيل عارف الجردي جُونْ مِيلْتُونْ بين مَنْ رأى فيهم بدوره فلاسفة. كتب: وعند ظهور الفلاسفة في القرنين السادس والسابع عشر، بدأوا يناقشون العلاقة بين الفرد والمجتمع. وذكروا أن الأفراد في المجتمع مستقلون وأحرار، وقد وجدت الحكومة لحماية حقوقهم. من هؤلاء: دِيكَارْتْ وجُونْ لُوكْ، وجُونْ مِيلْتُونْ. ص: ٧٤.

نحو إعلام إسلامي. ذكر علي محمد جريشة جُونْ مِيلْتُونْ بهامش حديثه عن مرجع النظرية الفردية في الإعلام قائلاً بدوره أنّ الكاتبِين

يشيرون أيضًا في هذا الموضوع إلى جُونْ مِيلْتُونْ وما ردده من أنّ الإنسان لا يصل إلى الصواب إلا إذا استمع إلى آراء مخالفيه، وأنّ الحقيقة لا يكتب لها البقاء إلاّ إذا وضعت أمام غيرها من الحقائق وجهًا لوجه [١]. ص: ٣٠.

مدخل لعلوم الإعلام والاتصال. كتب زهير إيحدادن في سياق عرض العامل الفلسفي الذي اتخذ منه أحد عوامل ظهور نظرية حرية الإعلام: ففي سنة ١٦٤٤ وجه الفيلسوف الإنجليزي جُونْ مِيلْتُونْ نداء حارا يطالب فيه بحرية التعبير. أضاف أنّ هذا النداء صار بعد ذلك مرجعًا لكل الفلاسفة والسياسيين وكان له بذلك أثر كبير على الأوساط المختلفة التي كان يتكون منها المجتمع الإنجليزي. ص: ٤٣.

تلتقي هذه الشهادات العربية في وصف جُونْ مِيلْتُونْ فيلسوفًا وتنسب له مبادئ في منهج بلوغ الصواب وبلوغ مسمى الحقيقة [٢].

تنفرد شهادة عبد اللطيف حمزة وهو يجعل جُونْ مِيلْتُونْ قد ناقش حرية الفكر واشترط عدم خضوع ذوي حق المناقشة إلى رقابة الحكومة.

تنفرد شهادة زهير إيحدادن وقد جعل من نداء جُونْ مِيلْتُونْ مرجعًا لكلّ الفلاسفة والسياسيين بإنجلترا ونسب له أثراً كبيراً على الأوساط المختلفة التي رأى أنّ المجتمع الإنجليزي كان يتكون منها.

إنّ شهادات أساتذة الإعلام في هذه الكتابات التي تمثل مراجع أكاديمية وجامعية عربية وإسلامية، لتستدعي تبيّن « فلسفة » جُونْ مِيلْتُونْ.

---

(١) كتب بالهامش: مزيدًا من التفصيلات: الدكتور محمد سيد محمد في كتابيه القيمين عن الإعلام.
(٢) الخبر وضوابطه الإسلامية وفن الخبر الصحفي، كتابين لم يذكر مؤلفاهما جُونْ مِيلْتُونْ.

جُونْ مِيلْتُونْ في كتابات ذويه من الغربيين

ذكر المؤرخ لِيُونَارْ *E. G. Léonard* في كتابه تاريخ البروتستانتية العام [(١)] قائمة دراسات وأبحاث قال إنه رصد لها مجموع ما نشر عن جُونْ مِيلْتُونْ *John Milton*. أشار إلى أنه لم يغفل المقالات الصحفية ولا أغفل مواضيع الدراسات التي قلّ عددها.

صدرت في موضوع الأعمال الشعرية الكبرى التي وضعها جُونْ مِيلْتُونْ، (٣٩) دراسة موزعة بين الكتاب والمقالة الصحفية المتخصصة.

صدرت في موضوع الإطار الفكري (١١) دراسة، مثل دراسة تطور جُونْ مِيلْتُونْ الفكري التي صدرت بالولايات المتحدة الأمريكية سنة **١٩٥٦م**.

وفي موضوع المواقف السياسية، صدرت (٢٢) دراسة.

وفي موضوع الآراء الدينية: (١٨) دراسة.

وفي موضوع المذهب المسيحي: (٧) دراسات.

وفي المواقف الكنسية: (٥) دراسات.

وفي موضوع المؤلفات النثرية الأولى: دراستان.

وفي موضوع حياة مِيلْتُونْ: (٢٣) دراسة.

إنّ الفلسفة التي تنسبها كتابات أساتذة الإعلام العربية والإسلامية إلى جُونْ مِيلْتُونْ لتنتفي من دراسات وأبحاث ومقالات ذويه. إنّ هذه الفلسفة لتنتفي في عشرات المراجع التي جمعها الباحث كْرِيصْطُوفَارْ هِيلْ *Christopher Hill* [(٢)] في إسناد كتابه الموسوم جُونْ مِيلْتُونْ والثورة الإنجليزية الذي صدر سنة ١٩٧٧ م بإنجلترا.

هل تنفرد كتابات أساتذة الإعلام العربية والإسلامية بوصف جُونْ مِيلْتُونْ فيلسوفاً ؟ بلى !

---

(1) Histoire générale du protestantisme. E.G. Léonard; Vol. I P.U.F.; 1964.

(2) Milton and the English Revolution; Christopher Hill. Faber & Faber, London; 1977.

أ – إنّ أحد وجوه الدراسات الإعلامية بفرنسا مثلا، وهو بَارْنَارْ فْوَايَانْ *Bernard Voyenne* قد ذكر جُونْ مِيلْتُونْ رافداً من روافد فكرة الحرية ولم ينسب إليه فلسفة. إنما جُونْ مِيلْتُونْ في تقديره: شاعر كبير الحزم (١).

ب – لم يفز من كتابات جُونْ مِيلْتُونْ بصفة الفلسفة فيما اجتمع لمؤلفي كتاب وسائل الإعلام والمجتمع الحديث (٢) غير حججٍ قال بها جُونْ مِيلْتُونْ في دعوته إلى إلغاء العمل بالترخيص. فقد كتبوا:

ولعلّ أقوى حجة كان مِيلْتُونْ يستطيع أن يستخدمها ضد السلطات المتطهرة في عصره هي أنّ الترخيص غير عملي. ولكنّ أقوى حججه الفلسفية هي أنّ الحقيقة تنبثق عن المواجهة الحرّة المفتوحة بين الأفكار، وهذا هو أهمّ ما أسهم به مِيلْتُونْ. ص: **٩٥**.

رأى مؤلفو هذا الكتاب الذي صدر بالولايات المتحدة الأمريكية، أنّ جُونْ مِيلْتُونْ إنما كان شاعراً. يؤكد ذلك قولهم: وفي سنة ١٦٤٤، رفع بعض كتّاب النشرات عقيرتهم ضد تلك المراقبة، وكان أقوى تلك الأصوات صوت الشاعر جُونْ مِيلْتُونْ. ص: **٩٤**.

ج – لم يذكر المؤرخ هَرْبَرْتْ فِيشَرْ *Herbert Fischer* جُونْ مِيلْتُونْ إلاّ شاعراً (٣). كتب:

يبدأ القرن السابع عشر بأحلام فْرَنْسِيسْ بَيكُونْ *Francis Bacon* البراقة بينما ينتهي بإثبات إِسْحَاقْ نْيُوتُنْ *Isaac Newton* المحكم: أنّ الكون بأكمله وحدة عضوية واحدة، وبين عهدي هذين العالمين فصل طويل مجيد من جهود العلماء الإنجليز [...] وبفضل تلك الجهود نالت إنجلترا مكانة ممتازة في عالم الفكر في أوروبا، تلك المكانة التي لم تتمكن من تحقيقها

---

(1) L'information aujourd'hui ; Bernard Voyenne. Collection U, Armand Colin, Paris; p. 30.

(٢) وسائل الإعلام والمجتمع الحديث. ريفرز وبيترسون وجنسن. دار المعرفة ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر. القاهرة. **١٩٧٥**م.

(٣) أصول التاريخ الأوروبي الحديث. هربرت فيشر. دار المعارف بمصر. القاهرة **١٩٦٥**م.

عن طريق شهرة شاعر كبير كشكسبير أو مِيلْتُونْ. ص: **٢٧٢**.

د - لم يذكر الناقد نُورْثْرُوبْ فْرَايْ *Northrop Frye* [١] جُونْ مِيلْتُونْ إلاّ أديباً كتابياً [٢]. ذكر معه بْلاَيْكْ *Blake* وقال إنهما « في الأدب الإنجليزي، كاتبين كتابيين بامتياز ».

رأى في جُونْ مِيلْتُونْ أكثر الأمثلة بياناً عن مدى مزج ثقافة كتابية بثقافة دنيوية ولم يذكره إلاَّ أديباً كتابياً. ص: **٢٣** و **٢٠٩**.

هـ - لم يذكر مؤلفا كتاب ألف باء البروتستانتية [٣] جُونْ مِيلْتُونْ إلاَّ شاعراً كتابياً. فإذ نسباه إلى البْيُورِيتَانْزْ وهذا فيه نظر، كَتَبَا: يطغى اسم الكاتب البْيُورِيتَانِي جُونْ مِيلْتُونْ (**١٦٠٨ - ١٦٧٤**) بإنجلترا على الآخرين. إنه يرمي، وهو شاعر كتابي، إلى إضفاء مدلول مسيحي على التاريخ. ص: **١١٣**.

و - قال آنْدْرِي مِيزُونَافْ *André Maisoneuve* في مساهمته في الجزء الثاني من تاريخ الآداب أَنّ جُونْ مِيلْتُونْ لم يكتب مدة عشرين سنة إلاّ نثراً وأنه اعتمد في عودته إلى الشعر، الكتابة في سقوط الملائكة وفي سقوط آدم وحواء (عليهما السلام) وفي الكتاب المقدس [٤].

سجل آنْدْرِي مِيزُونَافْ كذلك أنّ مرحلة غامضة أعقبت عودة جُونْ مِيلْتُونْ من إيطاليا التي كان قد رحل إليها سنة **١٦٣٨**م، وسجل له تعاطي الجدال وهو مكلف بمنصب أمين اللغة اللاّتينية بمجلس الدولة الذي رأسه أُولِيفَرْ كْرُومْوَالْ؛ وأنه واصل الكتابة في صالح الحرية. ص **٤٠٠- ٤٠١**.



---

(1) Le grand code, la Bible et l'histoire ; Northrop Frye. Seuil. Paris, 1984; p. 23.

(٢) نسبة إلى الكتاب المقدس.

(3) A..B.C. du Protestantisme ; J. Baubérot et J.P.Villaine. LABOR et FIDES. 1990; p. 113.

(4) Encyclopédie de la Pléade - Histoire des Littératures ; Paris. 1968; p. 400-401.

خلاصة

تُجْمِعُ كتابات الغربيين التي امتدّ إليها التقصي على وصف جُونْ مِيلْتُونْ بصفة أديب الكتاب المقدس وشاعره وتنفي عنه صفة الفيلسوف التي يعلو بها شأنه في الكتابات العربية.

إنّ الفارق لكبير بين ألاّ يكون جُونْ مِيلْتُونْ غير أديب وشاعر كتابيّ في نظر ذويه وإن رأوا له حججا فلسفية في مسائل عَرَضَ لها في أشعاره وفي مقالاته، وبين أن يكون في كتابات أساتذة الإعلام الإسلامية العربية فيلسوفاً.

إنّ الفلسفة التي أوجدتها كتابات أساتذة الإعلام الإسلامية العربية في أشعار جُونْ مِيلْتُونْ وفي مقالاته حجبت كِتَابِيَتَهُ بعد أن حجبت "مسيحيته" التي استقى منها أفكاره والتي خدمها باعتصار عبارات من الكتاب المقدس، إذ قد أوجد لذويه من حوله موطناً في الكتاب المقدس للقول بالتحرر والقول بالتعدّد أو بالتعددية. هذا الموطئ الذي يستند إلى رؤيا رآها كاهن؛ أصبح مما أُخِذَ به في تأسيس الليبرالية.

إنّ في تحويل كتابات أساتذة الإعلام الإسلامية العربية شاعراً كتابياً إلى فيلسوف، وفي حجب كِتَابِيَةِ جُونْ مِيلْتُونْ وإلغاء « مسيحيته »، أثر من آثار علّةٍ هي رافد قوي من روافد تمنّع الارتقاء عن المسلمين، تحيل بينهم وبين مقتضياته.



الملحق الثالث
مسألة المساواة في تقدير طُومَاسْ جِيفَرْسُونْ

يتصدّر إعلان الاستقلال الأمريكي قولهم إنّ الناس يولدون أحرار ومتساوون في الحقوق. السؤال هنا عن المساواة في نظر طُومَاسْ جِيفَرْسُونْ وفي تقديره؛ وأول المراجع البحث التاريخي والتحليلي الذي نشره الباحث إِيمَانْوِيلْ طُودْ في موضوع الإدماج والتمييز في الديمقراطيات الغربية (١).

انتبه الباحث بدوره في هذا الكتاب إلى أنّ القول بالمساواة في إعلان الاستقلال الأمريكي على غير تناسق مع الموروث البروتستانتي، فتساءل عما يَسَّرَ تحول مجتمع أو انتقاله من تصور كَالْفِيني تفاضلي بمختاري الإنسانية وملعونيها إلى تصور مناقض، إشارة إلى عقيدة القدَر لدى أتباع كَالْفِنْ (٢).

لاَحَظَ أنّ في تمكن عوامل في الحياة، من أن توهن الكَالْفِينِيةَ ذاتها أمر مقبول، بيد أنّ الأمر غير ذي الوضوح هو أن تتمكن العوامل عينها من أن تؤدي بِمُسَلَّمَاتِ المجتمع الأمريكي أو المسلّمات الكَالْفِينِية إلى الانقلاب أو التحول إلى النقيض. أتبع هذه الملاحظة بتوكيد ألاّ حلّ منطقياً أو ألاّ تفسير للتحول أو الانقلاب غير الإقرار بأنّ الفترة بين ١٦٥٠م و ١٧١٥م شهدت تحول القناعة الدِّينية بعدم مساواة "المسيحيين" بعضهم للبعض أو القناعة بالتفاضل بين المختارين للجنة وبين الملعونين منهم، إلى قناعة بالتفاضل بين الأوروبيين وبين الهنود والسود.

---

(1) *Emmanuel Todd ; Le destin des immigrés. Editions du Seuil, Paris. 1994.*

(٢) كتب أنّ التناقض الموجود بين المبادئ الكالفينية وبين مبادئ الثورة الأمريكية قد أبرزه الكاتب هَالْدَانْ في مؤلف له حول عدم المساواة بين "المسيحيين"، صدر سنة ١٩٣٧م. أشار في الأمر ذاته إلى الكتاب الذي أصدره كْرِيصْطُوفَارْ هِيلْ *Christopher Hill* سنة ١٩٧٥م حول مناقضة الاصطفاء الكالفيني المثل الديمقراطية. (مصير المهاجرين) هامش ص: ٤٧.

تحول الكاَلْفِينيون أوالبْيُوريتَانْزْ بفكرتهم في التفاضل إلى النقيض باستبدالهم الكَاثُولِيكْ والأنجليكَان بالهنود، آهلي أمريكا الأصليين قبل أن يضموا إليهم الزنوج. كان الأنجليكان بفيرجينيا على غير ما كان عليه البْوُريتَانْزْ في قراءة الكتاب المقدس وكانوا على غير ما كان عليه البْيُورِيتَانْزْ في ورعهم وفي تشبههم ببني إسرائيل، غير أنهم كانوا على ما كان عليه هؤلاء في الامتناع عن الزواج من الهنود؛ ص: ٤٣.

كان للتركيز على الاختلاف عن كلٍّ من الهنود والزنوج أن يسمح بإلغاء اختلاف الإنجليز أو البيض عن بعضهم البعض وكان له أن يسمح بتولّد إيديولوجيا مساواتية. هذا الحلّ الذي يفسر انقلاب التفاضل إلى مساواة يجد مبرره في نص إعلان الاستقلال الذي قال بتساوي الناس وإن هو عرّف الهنود بأنهم وحوش.

الأمر أنّ الإعلان يَعْتَبِرُ ضمنياً أنّ مصطلح الأبيض قابل للمبادلة مع مصطلح الإنسان وبذلك يتطابق الأبيض والإنسان. خلاصة فإنّ مصطلح الناس في قولهم في إعلان الاستقلال: يولد الناس أحرار ومتساوون في الحقوق، عبارة إنما تشمل من الناس جموع البيض أو الأوروبيين دون الهنود والزنوج ؟

يحضر الآن اسم جِيفَرْسُونْ من حيث الدور الريادي الذي قام به مع فيرجينيين مثل جُورْجْ مَاصُونْ *Georges Mason* في إنتاج إيديولوجيا المساواة.

الأمر أنّ ٤٠ % من مجموع زنوج تلك الفترة بالولايات المتحدة كانوا في فِيرْجِينْياَ، أوسع ولايات الجنوب وأقواها، والتي انطلق منها نشر الديمقراطية الذي أذهل الفرنسي آلاَكْسِي دُو طُوكْفِيلْ *Alexis de Tocquevlle* لملاحظته أنّ ولايات الجنوب الأكثر أرستقراطية، هي التي أعطت إشارة نشر الديمقراطية.

عادت الريادة في نشر الديمقراطية لولايات الجنوب لأنّ الزراعة التي هي مصدر عيشها ومصدر ثروتها أو ثرواتها كانت تتطلب وجود أعداد كبيرة

من الزنوج وجوداً لا يتعلق هنا بالسواعد بل بسواد الوجوه الذي يجعل البيض يشعرون بمساواة بعضهم البعض؛ ص: ٤٨.

كانت الاعتبارات القائمة وراء نشر الديمقراطية اعتبارات عرقية أو عنصرية كما أقرّ به دَايْفِيزْ جِيفَرْسُونْ *Jefferson Davies* وهو أحد قادة الجنوب يوم قام يخطب في مجلس الشيوخ الأمريكي فقال مشيراً إلى الزنجي أوالعبد الأسود: إنّ أحد الأسباب التي تجعلنا نتحمله بيننا هو أنّ وجوده بيننا يرفع البيض إلى مستوًى واحد ويعلي عزة البيض في وجه عرق أدنى [1].

يجلو موقع طُومَاسْ جِيفَرْسُونْ من الأمر بفضل إيضاحٍ من مُورِيصُونْ *S. E. Morison*. فقد ساق من مقدمة الإعلان قولهم: « إننا نعتبر أنّ هذه الحقائق بيّنة في ذاتها: أنّ جميع الناس خلقوا متساوين، وأنهم موهوبون من خالقهم ببعض الحقوق اليقينية، منها: الحياة والحرية والسعي وراء السعادة »، ثم ساق سؤالاً بسيطاً لكنه دقيق: فإذ نسب كتابة إعلان الاستقلال إلى طُومَاسْ جِيفَرْسُونْ سأل:

هل فكّر جِيفَرْسُونْ في الزنوج وهو يكتب أنّ جميع الناس خلقوا متساوين ؟

أوضح مُورِيصُونْ أنّ مسار طُومَاسْ جِيفَرْسُونْ الذي أعقب فترة كتابة الإعلان يدلّ على أنّ طُومَاسْ جِيفَرْسُونْ لم يكن يفكر في الزنوج، لأنّهم لم يكونوا في نظره بشراً [2].



(1) *Le Destin des Immigrés ; Emmanuel Todd. p. 48.*

(2) *S. E. Morison ; The Oxford history of the American people. New American Library; 1972. p. 295.*

الملحق الرابع – ١

في لزوم الاختيار بين العمل بوصايا الكتاب المقدس وبين تسيير الدولة

القسم الأول: تعذر استخراج دستور من الكتاب المقدس

حصل وِيلْيَامْ بَانْ *William Penn* من مَلِكِ إنجلترا سنة ١٦٨١م على إقطاع واسع بأمريكا مقابل دَيْنٍ كان مدينا به لوالده. سمّى وِيلْيَامْ بَانْ الإقطاع بتسمية بَانْسِيلْفَانْيَا *Pennsylvania* وشرع في جمع معمرين له من ألمانيا وهولندا وإنجلترا وكانت تلك بداية التجربة المقدسة [1].

كانت إحدى مشاغل وِيلْيَامْ بَانْ الأولى بأمريكا، صياغة مدونة قوانين تنظم شؤون الحكم في مستعمرة بَانْسِيلْفَانْيَا *Pennsylvania*. حملت المدونة تسمية فْرَايْمْ أُوفْ غُوفَارْنْمَنْتْ *Frame of Government* ومدخلها أنّ الربّ العظيم الحكيم عندما خلق الدنيا وكلّ المخلوقات، راق له اختيار الإنسان نائباً عنه لتسييرها [2].

أسس وِيلْيَامْ بَانْ تصوره على نصين في الكتاب المقدس؛ كتب: وهكذا فإن الحكم يبدو لي جزءا من الدِّين، كما يبدو لي شيئا مقدساً وهو بذلك انبثاق من القوة الربّانية، مصدر الدِّين الصافي وموضوعه [...] إنّ الحكومة قادرة على الطيبة وعلى الخيرية والمحبة. ص: ٢٠٩ - ٢١٠.

حدّد وِيلْيَامْ بَانْ شروط تقلد الوظيفة أو السلطة في البند (٣٤) من المدوّنة. كتب:

كلّ أمناء المال والقضاة والمؤتمنين على الوثائق وقضاة الصلح وغيرهم

---

(1) *Les Quakers ; Edouard Dommen. Cerf-Fides , 1990; p. 21.*

(2) *Richard L. Perry: Sources of our liberties; Richard L. Perry. p. 209-211.*

من الموظفين الذين هم على علاقة بالمحاكم أو بالقضايا التي تجري محاكمتها، أو الذين هم على علاقة بأي جزء آخر من الحكومة، وكلّ الأعضاء المنتخبين للعمل بمجلس الولاية، وجب أن يكونوا ذوي إيمان بيسوع المسيح وألاّ يكونوا ذوي سمعة سيئة، ولا غير معتدلين ولا غير محتشمي الكلام، وأن يكونوا قد بلغوا سنّ الواحد والعشرين على الأقل.

يتقدم شرط العقيدة شروط إسناد الوظائف والسلطة بدرجاتها: إنّ قانون الكْوَايْكَرْزْ ببَانْسِيلْفَانْيَا قانونٌ للـ"مسيحيين" في دولة للـ"مسيحيين".

كانت طائفة الكْوَايْكَرْزْ منذ أيامها الأولى بإنجلترا ترفض القَسَم. كان مؤسسها، جُورْجْ فُوكْسْ *George Fox*، قد عبّر عن موقف الكْوَايْكَرْزْ التقليدي في هذا الشأن عندما مثُل سنة ١٦٥٦ هـ أمام محكمة بسبب منشور تمرّدٍ كتبه ضد أداء القَسَم، ورد فيه: احذروا دفع الناس إلى القَسَم لأنّ المسيح، ربّنا ومعلّمنا، قال: لا تحلفوا بالسماء ولا بالأرض ولا بقسم آخر بل لتكن نَعَمُكُمْ نَعَمْ ولاَكُمْ لاَ لئلا تقعوا تحت دينونة؛ ص: ٤٣- ٤٤.

أملى ائتمار الكْوَايْكَرْزْ بالكتاب المقدس صياغة التعهد الرسمي الذي تقوم عليه شهادة الشهود في المحاكم والذي يتجنبون به مخالفة الكتاب المقدس ويمتنعون عن القَسَم. فقد أوصى القانون الكبير الذي تم وضعه ببَانْسِيلْفَانْيَا سنة ١٦٨٢م أن يسبق شهادات الناس في المحاكم تعهد الكْوَايْكَرْزْ على قول الحقيقة، كلِّ الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة (١).

صدر بإنجلترا سنة ١٦٨٩م قانون رخص للكْوَايْكَرْزْ الاقتصار على الإثبات أو التعهد متى دعيٍ غيرهم إلى أداء القَسَم، غير أنّ القانون ذاته منع عنهم أن يكونوا شهوداً في الحالات الجنائية، كما منع عنهم عضوية هيئة المحلّفين. ص ٤٣ - ٤٤.

---

(1) The Americans; Daniel J. Boorstin. Vol. I: The colonial experience - Part II. - The inward plantation., p. 33-48.

كان الكْوَايْكَرْزْ يسيّرون حكومة بَانْسِيلْفَانْيَا دون أداء اليمين حتى سنة ١٦٩٣م. فإذ ارتفع عدد سكان بَانْسِيلْفَانْيَا من غير الكْوَايْكَرْزْ، أخذ الاعتراض على حكم الكْوَايْكَرْزْ في الاتّساع.

أصبح خصومهم يجاهرون بالتساؤل عن مدى ائتمان حكّام يرفضون أداء القَسَم بالولاء للتاج، وعن مدى تصديق شهود يتذرعون بما يعفيهم من القَسَم.

أصبح امتناع الكْوَايْكَرْزْ عن أداء القَسَم ورفضهم استحلاف غيرهم محلّ خلاف، غير أنّ أغلب أعضاء جمعية بَانْسِيلْفَانْيَا وهم من الكْوَايْكَرْزْ، تمكنوا بعض الوقت من ردّ محاولات تجريد الكْوَايْكَرْزْ من أهلية التكفل بالتسيير لامتناعهم عن أداء القَسَم وعن الاستحلاف.

انزعج عدد من أعضاء مجلس الحاكم الكْوَايْكَرْزْ ببَانْسِيلْفَانْيَا عند اطّلاعهم سنة ١٧٠٣م على قرار من إنجلترا يشترط أداء القَسَم لتقلّد وظيفة عمومية، ويملي أنّ كلّ أمر يأمر به من لم يؤد القَسَم، أمرٌ لاغٍ وغير ذي أثر. إمتدت مناقشة مسألة القَسَم إلى أوساط الكْوَايْكَرْزْ أنفسهم. ص ٤٤- ٤٥.

ماذا حدث ؟

جهر رئيس أحد كبيري أحزاب الكْوَايْكَرْزْ ببَانْسِيلْفَانْيَا سنة ١٧٠٤م بشكواه من أنّ وِيلْيَامْ بَانْ لم يوفّق في تأمين راحة الكْوَايْكَرْزْ من القَسَم، إلى حدّ أنهم أصبحوا مجبرين على التخلي عن وظائفهم !

فقد حدث أنّ موظفين من الكْوَايْكَرْزْ لجأوا إلى نقض أمر الكتاب المقدس بينما سلك البعض الآخر منهم مسلكا يُظهرهم أوفياء للكتاب المقدس.

حدث أيضاً أنّ منهم من رخّص لغيره بالاستحلاف تحت إشرافه أو تحت مسؤوليته، ومنهم من قام هو نفسه بالاستحلاف. ص: ٤٥.

أشارت أصوات كْوَايْكَرْزْ ذات تأثير من إنجلترا، بالثبات: فقد حثّ وِيلْيَامْ بَانْ الكْوَايْكَرْزْ على عدم الإستقالة من الوظائف، كما حثّهم على

عدم المساومة في مسألة القَسَم؛ لكنّ الكْوَايْكَرْزْ غُلبوا على أمرهم وكان عليهم أن يدفعوا ثمناً للدوام على الائتمار بوصايا الكتاب المقدس في وجوب الامتناع عن القَسَم.

كان للكْوَايْكَرْزْ، منذ ظهور طائفتهم بإنجلترا، تقليد قوي في الاعتراض على قتل الإنسان، أيًّا كان السبب، ولهم في ذلك سند أو مرجع في الكتاب المقدس.

كانت عقوبة جرائم كثيرة في القوانين الإنجليزية هي الحكم بالإعدام، بينما لم تكن تعاقَب بالإعدام في بَانْسِيلْفَانْيَا غير جريمتي الخيانة والقتل.

بقي الأمر ببَانْسِيلْفَانْيَا على تلك الحال أكثر من ثلاثين سنة. أم هل يكون القول إنّ الأمر لم يبق على تلك الحال غير ثلاثين سنة ؟

خرج خصوم الكْوَايْكَرْزْ عن صمتهم.

ما الذي أخرجهم عن صمتهم ؟

زامن أوج الغليان السياسي في موضوع القَسَم موتُ شخص معروف مقتولاً، هو جُونَاثَانْ هَايْزْ *Jonathan Hayes* سنة ١٧١٥م. قرر الحاكم تْشَارْلْزْ غُوكِينْ *Charles Gookin* أنّ مستلزمات القانون الإنجليزي تسري في مثل هذا الأمر ببَانْسِيلْفَانْيَا. وإذ وجب تقديم قتلة جُونَاثَانْ هَايْزْ إلى المحاكمة، فإن القضاة والشهود المحتملين، وكذلك أعضاء من هيئة المحلّفين، ما كان لهم إلاّ أن يكونوا من الكْوَايْكَرْزْ، نظرا لغلبتهم العددية في تلك الناحية من المستعمرة.

رفض الكْوَايْكَرْزْ أداء القَسَم الذي يستلزمه القانون الإنجليزي، فأصبحت المحاكمة غير ممكنة. لذلك فقد تمّ إطلاق سراح المتهمين، لمدة ثلاث سنوات مقابل كفالة مالية. أثيرت اتهامات معهودة ضدّ الكْوَايْكَرْزْ، مثل أنّ في إعفائهم من القَسَم تشجيع للإجرام؛ كما أثيرت مجدداً قضية قتلة جُونَاثَانْ هَايْزْ.

تم تنفيذ الحكم بالإعدام في هؤلاء، وعندما بلغ لندن أنّ الرعايا البريطانيين يُعدمون في بَانْسِيلْفَانْيَا بأحكام تصدر عن هيئات غير محلّفة، حدث دوي من الغضب، كان فيه لخصوم الكْوَايْكَرْزْ فيض من الذخيرة.

أصبح الكْوَايْكَرْزْ على استعداد للإنصات إلى الحاكم فقد أرعدهم تجدّد التهديد بالطرد من مناصبهم. كان الحاكم يشير عليهم بالتسليم بحكم الإعدام عن طريق تبنّي قانون إنجلترا في الجرائم. كان يعرض عليهم في المقابل تسوية في مسألة القَسَم.

كان الحاكم يساومهم مبادئ عقيدتهم.

ماذا كان موقفهم من المساومة وماذا قرّروا ؟

قرروا الاستجابة مقابل إصدار قانون يرخّص لهم تقلّد وظائف، ويعفيهم من القَسَم. صدر هذا القانون سنة ١٧١٨م. كان قانوناً صاغه رجل قانون من الكْوَايْكَرْزْ وأصدرته جمعية من الكْوَايْكَرْزْ ولم تعترض عليه تجمعات الكْوَايْكَرْزْ. ص: ٤٧- ٤٨.

إنتهت قصة التجربة المقدسة التي ساقها دَانْيَالْ بُورْسْتِينْ (١).

أقام « المسيحيون » الكْوَايْكَرْزْ دولة « مسيحية » لمواطنين « مسيحيين »؛ اجتهدوا في تسييرها؛ لكنهم وجدوا أنفسهم مجبرين على الاختيار بين اتّباع دينهم بالعمل بوصايا صريحة في « الكتاب المقدس »، وبين تسيير الدولة.

إنّ في إقرار هؤلاء القوم وهم الغلاة من النصارى بأنّ الكتاب المقدس أوجب عليهم الاختيار بين العمل بوصاياه وبين تسيير الدولة في سعي جاد أجهدوا فيه أنفسهم دون جدوى، إقرار بأنّ الكتاب المقدس يحول دون

---

(1) The Americans; Daniel J. Boorstin. Vol. I: The colonial experience - Part II. - The inward plantation. - The Quakers of Pennsylvania ; p. 33-48.

الاستجابة لحاجة النصارى أو « المسيحيين » إلى اعتماده أساساً لتسيير الدولة؛ غير أنّ إقرار النصارى بهذه الحال لم يمنعهم من التمسك بما بين أيديهم من نصوص الكتاب المقدس ولا منعهم من الشدّ عليه بالنواجذ.



الملحق الرابع – ٢

في لزوم الاختيار بين العمل بوصايا الكتاب المقدس وبين تسيير الدولة

القسم الثاني:

لزوم الاختيار بين تسيير الدولة وبين الائتمار بالكتاب المقدس

تمنّع الحكم عن البْيُورِيتَانْزْ بإنجلترا لكنهم هجروها وأقاموا دولة لأنفسهم بأمريكا.

هاجرت جموع منهم إلى هولندا بداية القرن السابع عشر الميلادي ثم قرر بعضهم وآخرون ممن بقوا بإنجلترا استحداث موطن لهم بأمريكا وقد رأوا أنه سوف يمكن لهم العيش هنالك طبقا لمعتقداتهم ولاهوتهم. هاجرت أول مجموعة منهم إلى أمريكا سنة ١٦٢٠م [١].

هجر هؤلاء النصارى أوطانهم حفاظا منهم على عقيدتهم وتمسكاً بها وحرصوا في الأقطار الجديدة على صياغة وثيقة بقواعد الحياة المشتركة التي كانوا مقبلين عليها.

قال الباحث رِيتْشَارْدْ بِيرِي *Richard Perry* في عرض هذه الوثيقة المسماة عقد مَايْفْلاَوَرْ *Mayflower Compact* أنها تمثل تطبيق فلسفة التعاهد الكنسي على شؤون الحكم المدني.

لاَحَظَ أنّ لاهوت البْيُورِيتَانْزْ هو الذي وجد في الكتاب المقدس حق التجمع لإنشاء كنيسة وإقامة حكم مدني وكذلك لاختيار من يديرون الشؤون العامة والشؤون الدينية [٢].

اتفق المهاجرون البْيُورِيتَانْزْ طبقا للوثيقة على أنّ لكلّ منهم صوت في انتخاب المسيّرين في التجمعات التي توزعوا بينها والتي لم يكن أيّ منها

---

(1) Histoire des Etats Unis; Franck L. Schoell. Editions Payot, Paris, 1965; p. 35.

(2) Sources of Our Liberties; Richard L. Perry. Mc Graw Hill Book Company, 1964, p. 57.

تحت سلطة كنيسة مركزية [١] .

أسند البْيُورِيتَانْزْ الحكم إلى جمعية عامة تجتمع حسب الحاجة لانتخاب الحكام أو المسيرين وصياغة القوانين وإقامة محاكم حسم الخلافات [٢] .

كانوا يرون ألاّ شعب أكثر قناعة منهم بأنه على الطريق الصحيح وكان قولهم، وقد استقروا بأمريكا، من قول الكتاب المقدس: إنّ لنا هنا الديانة الحقيقية ولنا أوامر الربّ القدير المقدسة منشورة بيننا [...] لا شك لنا في أنّ الربّ سوف يكون معنا، وإذا كان الربّ معنا فمن يكون ضدنا ؟ [٣].

كان إخراج آدم عليه السلام من الجنّة كما كانت الخطيئة والخلاص والقدَر والاصطفاء هي مأكلهم ومشربهم؛ كانوا أقلّ اهتماما باللاّهوت من اهتمامهم بتطبيقه في حياتهم اليومية وتطبيقه على المجتمع [٤].

طبعت الكالفينية حياة البْيُورِيتَانْزْ اليومية: كان الإيمان بالقدَر إلى جانب السؤال المقلق عن مدى استحقاق الاصطفاء الذي يؤول بالإنسان إلى الجنّة، يدفعانهم إلى مراقبة سلوكهم وإلى العمل بوصايا الكتاب المقدس والتفرّغ يوم الأحد لعبادة الخالق وتجنب اتّباع المغريات السيئة.

كانوا يأخذون وصية تحب قريبك مثل نفسك مأخذ الجدّ، وكانوا ذوي ورع في التعاون بين الجيران وفي مساعدة المحرومين.

أصدروا قوانين لمساعدة القريب ودعم مقاومته فخاخ الشيطان والإجبار على حضور طقوس يوم الأحد ومنع السفر وفتح المخامر والرقص يوم

---

(1) Sources of Our Liberties; Op. Cit.; p. 57.

(2) Histoire des Etats-Unis; Franck Schoell. Payot, Paris, 1965 ; p. 35-36.

(٣) سياق هذه العبارة في نص « رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية » في الكتاب المقدس: « ٢٩لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ. ٣٠وَالَّذِينَ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ، فَهؤُلاَءِ دَعَاهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ دَعَاهُمْ، فَهؤُلاَءِ بَرَّرَهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ، فَهؤُلاَءِ مَجَّدَهُمْ أَيْضًا. ٣١فَمَاذَا نَقُولُ لِهذَا ؟ إِنْ كَانَ الربّ مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا ؟ ».

(4) The Americans; Daniel Boorstin. The Colonial Experience – Part One: How orthodoxy made the puritans practical; p. 5.

الربّ أو يوم الأحد. كانوا يلحّون على الجدّ في الحياة وكانوا ذوي صرامة في السهر على العمل بوصايا الكتاب المقدس.

ثبتت أجيال كاملة منهم على ذلك حتى بعد الاستقلال (١).

كانت لهم بأمريكا فرصة متميزة يعبّر عنها تساؤلهم: لماذا لا يتم في رقعة غير فاسدة من العالم، إعلان هدنة مع الشكوك ومع اللاّهوت، ليس لتوضيح العقيدة بل من أجل ...

بل من أجل ماذا ؟ من أجل بناء صهيون (٢).

ولقد جعلتهم الظروف الجديدة بأمريكا يبحثون في الكتاب المقدس عن مدلولات معيّنة: فقد كانوا يرون لأنفسهم تماثلا مع بني إسرائيل بتصورهم أنّ خروجهم إلى الصحراء – وإن هي بأمريكا – يجعلهم يعيشون قصة المنفى أو تيه بني إسرائيل. كذلك فقد أصبحت مناقشاتهم تدور حول مدى تماثل ما كانوا يعيشونه مع رواية ما في الكتاب المقدس (٣).

عمل البْيُورِيتَانْزْ بأمريكا على توفير جو يخدم اهتماماتهم ومشاغلهم وهي دينية أو أنه جو يخدم دينهم، فجعلوا الجمعية العامة تصدر سنة ١٦٣٧م أمرا يمنع الاستيطان بينهم عمن لم يحصل على تزكية من المسيرين؛ فقد كانت الإقامة بينهم تستلزم التزكية أو الموافقة (٤).

---

(1) *Histoire des Etats-Unis; Franck Schoell. Payot, Paris, 1965 ; p. 71-72.*٣٥٣٦

(2) *The Americans; Op. Cit ; p. 6.*
(3) *Ibid; p. 19.*

(٢) صورة ذلك في جسارة جُونْ وِينْثْرُوبْ *John Winthrop* في الدفاع عن نظام البْيُورِيتَانْزْ بالسؤال عن المانع من طرد ذوي المعتقدات الخطيرة أو المغايرة. نجد للأمر صورة أخرى في قول نَاثَانْيَالْ وَارْدْ *Nathaniel Ward*: إنني أجرؤ على أن آخذ على نفسي وأكون سبّاقا في نيو أنجلند ... فأعلن للعالم نيابة عن مستعمرتنا أنّ لمجموع الفاميليستس *Familists* والآنتينوميانز *Antinomians* والآناباتيستس *Anabaptists* وغيرهم من الآنتوزيازتس *Enthusiasts* كامل الحرية في الابتعاد عنا.
Ibid ; p. 7.

كانت مستعمرة مَاصَاشُوسَاتْزْ *Massachusetts* مدة سنين مثال جمهورية بْيُوريتَانِيَّة يديرها بقساوة شديدة مشرّعون منهم: هؤلاء الذين طالما عانوا بإنجلترا من القمع، تحوّلوا بأمريكا إلى قساة، أسسوا القمع على مثل القانون الذي أصدروا سنة ١٦٤٤م ضد النصارى البَاتِيستْسْ *Baptists*.

تميّزت السنوات من ١٦٥٦م إلى ١٦٦٢م بسوء معاملتهم للنصارى الكْوَايْكَرْزْ *Quakers* بالمطاردة والاعتقال والجَلْدِ بل والإعدام أحيانا. ولقد بقيت كنيسة صَالاَمْ *Salem* سيئة الذكر بين النصارى بسبب عنف رُعَاتِهَا أو كهنتها فقد كانت لا تعرف للتسامح معنى [١].

كان اضطهاد البْيُورِيتَانْزْ للكوايكرز شرساً: فقد أخرجوهم أو طردوهم من بوسطن، ومنعوهم من دخول مَاصَاشُوسَاتْزْ. كما أصدروا ضدهم قوانين [٢]. لم يكونوا ليتحملوا من يخالفهم قيد أنملة ولا كانوا يطيقون به صبراً [٣]. كانوا يريدون أن يُتْرَكوا وحدهم يتصرفون حسب لاهوتهم ويقيمون صهيون وفق تصوراتهم [٤].

ساد بينهم الاعتقاد أنّ "المسيحي" يجد في الكتاب المقدس نظام الحياة. كانوا يرون أنّ: أطراف الحكومة محددة في الكتاب المقدس لأنّ الربّ، يسوع المسيح الملك ومشرّع كنيسته، ليس أقلّ قوّة إيمان ببيت الربّ مما كان عليه موسى الذي سَلّمَ إلى (بني) إسرائيل من عند الربّ في الكتاب المقدس شكل الحكومة ونمطها، وأنّ الكتاب المقدس هو اليوم من التمام الذي يمكنه من جعل أهل الربّ ذوي كمال وزادٍ كامل لكلّ عمل خير ولحسن ترتيب بيت الربّ [٥].

---

(1) Histoire des Etats-Unis; Franck Schoell. p. 38.

(2) George Fox et les Quakers; Henry Van Etten. Editions du Seuil, Paris, 1956; p. 85-86.

(3) The American; Daniel Boorstin. Vol. I, The Colonial Experience - Part II: The inward plantation – The Quakers of Pensylvania; p. 34.

(4) Ibid ; p. 38.

(5) The Americans; Daniel J. Boorstin. Vol. I « The colonial experience - Part one: How Orthodoxy made the Puritans Practical ; p. 18.

أبدى النصارى البْيُوريتَانْزْ بملازمتهم الظاهرة نصوص الكتاب المقدس واتّباعهم اللاّهوت الكالَفيني أنهم يبتغون إقامة النظام الذي سبق في سويسرا بمدينة جنيف *Genève - Geneva* في القرن السابع عشر على يد جَانْ كَالْفِنْ بمدينة جنيف والذي أورد مؤلفا كتاب في الأفكار السياسية [١] أنه نظام كتابي أو بيبليوقراطي *Bibliocratie* نسبة إلى البيبل *Bible* أو البايبل أو الكتاب المقدس.

فسر المؤلفان المصطلح وفسرا بذلك منهج الحكم عند الكالفينيين أو البْيُورِيتَانْزْ فقالا: إنه كلمة الربّ المدونة في الكتاب المقدس [...] مدى الحياة أو إلى الأبد. ص: **٢٩٣.**

استوجب البْيُورِيتَانْزْ على أنفسهم الانفراد بموطنٍ سعياً إلى حياة يأتمرون فيها بالكتاب المقدس ويتّبعون فيها اللاهوت الكَالْفِينِي، لا رأي لهم فيها غير رأي اللاّهوت ولا مرجع لهم فيها غير الكتاب المقدس.

أقاموا لأنفسهم بمقاطعة مَاصاَشُوسَاتْزْ في أمريكا دولة، منهم حكامها ومنهم مشرّعوها. ماذا كان موقع الكتاب المقدس من القوانين التي سنّ البْيُورِيتَانْزْ لتسيير دولتهم ؟

أقاموا دولة مستدلين بقاعدة واحدة هي "كلام الأعظم"، الذي يرونه مدوناً في نصوص الكتاب المقدس.

مدخل الحديث عن تسيير هذه الدولة الإشارة [٢] إلى الاضطراب الذي حدث سنة ١٦٣٥م بين النواب لأنّ المسيّرين كانوا يرون العمل في حالات كثيرة بما تمليه عليهم سريرتهم.

أقنع النواب الجمعية العامة بمعالجة الأمر عن طريق صياغة مدوّنة قوانين يتخذونها قانونا أساسيا.

---

(1) Histoire des idées politiques; G. Lescuyer et M. Prélot. Dalloz, Paris, 9° édition, 1986.
(2) The Americans; Op. Cit; p.21.

تعددت محاولات صياغة المدوّنة لكن الإخفاق كان مآلها جميعاً. تقرر تكليف لجنة من ثلاثة أشخاص سنة ١٦٣٥م بصياغة قوانين غير أنّ اللجنة لم تضع القانون المحبذ، فتمّ بعد سنة تكليف لجنة أخرى بصياغة قوانين وجب أن تطابق كلام الربّ.

تحول الأمر بعد ثلاث سنوات ١٦٣٨م إلى دعوة الأهالي إلى التجمع بالمدن من أجل اقتراح قوانين تكون صارمة بقدر ما تكون ملائمة بغية تبنيها، غير أنّ هذا المسعى لم يؤد بدوره إلى المدوّنة.

دعي جُونْ كُوطُونْ *John Cotton* ونَاثَانْيَالْ وَارْدْ *Nathaniel Ward* إلى صياغة مدوّنة،كلّ من جهته [1].

حارب المشرعون المدوّنة في جميع مراحل صياغتها لإدراكهم أنّ القوانين المكتوبة تحدّ من السلطة التقديرية التي كانت بأيديهم. اعترضوا على قوانين مكتوبة لتقديرهم أنّ للربّ وحده سلطة سنّ القوانين وأنّ القوانين التشريعية ليست غير أعراف بين الناس، لا تصح إلاّ بمدى مطابقتها وصايا الربّ.

كانت هذه الحجج مقنعة وقُدّمت للقضاة تنازلات فيما تم إدراجه في نص المدوّنة مثل سلطة إصدار الأحكام بما يوافق وصايا الربّ [2] في الحالات التي لا تشملها المدوّنة.

• ورد في المدوّنة:

◄ للحكومة المدنية سلطة النظر في إقامة السلام وفي مدى العمل بقوانين المسيح (البند ٥٨).

---

(١) كان ناثانيال وارد الذي صمم المدونة كاهنا و كان محاميا. التحق بالكهنوت سنة ١٦١٨م، وأوقفه لود *Laud* كبير الأساقفة بإنجلترا، عن مهامه بسبب معتقداته الكالفينية أو البيوريتانية.

(2) Sources of our liberties; Richard L. Perry. p. 143 - 145

◄ إذا قدم إلينا أناس من بلدان (أو من أمم) أخرى، يدينون **بالمسيحية الحقيقية**، فارين من طغيان أو من اضطهاد أو فارين من مجاعة أو من حروب [...] فسوف يجدون لدينا الاستقبال والنجدة وفق القدرة والحذر اللذين يعطيهما الربّ لنا (البند ٥٩).

• تضمنت المدونة تحت عنوان «تصريح بالحريات التي أعطى الربّ المسيح للكنائس» بنودا ذات دلالة عميقة، منها:

١- لجميع أهل الربّ من ذوي الآراء الصارمة بهذا الإقليم، وإن هم ليسوا على النهج الكنسي، كامل الحرية في التجمع في كنيسة على أن يقوموا بذلك وفق منهجٍ "مسيحي" مع العمل بما يطابق تعاليم المسيح المبيّنة في كلامه في الكتابً المقدس.

٢- لكلّ كنيسة حرية العمل بموجب تعاليم الربّ وفق قواعد الكتاب المقدس.

٣- لكلّ كنيسة حرية انتخاب كهنتها وسيامتهم من وقت لآخر، على أن يكونوا أكفاء وورعين وأن يكونوا ذوي صرامة.

٤- لكلّ كنيسة حرية قبول كهنتها وأعضائها أو أتباعها وفي... الإبعاد أو الطرد وفي إنهاء المهام وإلغاء انتساب الأتباع، لأسباب مناسبة، إضافة إلى حريتها في الإشراف على الانضباط ... وفق قواعد كلام الربّ المسيح الكتاب المقدس.

٥- لا تؤمر كنيسة ولا يؤمر القائمون عليها وأعضاؤها في مجال العقيدة أو التعبّد أو النظام... بعيدا عما أسسه الربّ.

٦- لكلّ كنيسة حرية الاحتفال [...] بما يطابق كلام الربّ.

• تضمنت المدوّنة بنودا توصي بعقوبة الإعدام.

يوصي بند منها أنه إذا ثبت أنّ "مسيحياً" اتخذ إلهاً غير السيد، الربّ، أو تعبّد إلهاً غيره فإنه يُقتل ائتمارا بثلاثة مقاطع في الكتاب المقدس.

يوصي بند آخر من المدوّنة أنه إذا صار أيّ رجل ساحراً أو صارت أيّة امرأة ساحرةً فإنهما يُقتلان، ائتمارا بمقاطع في الكتاب المقدس.

ورد في بنود المدونة أنه إذا زنا شخص بامرأة متزوجة أو مخطوبة، يقتل كلاهما، ائتمارا بمقطع في الكتاب المقدس.

إنّ من هذه البنود ومستند البْيُوريِتَانْزْ فيها ما يبيّن مدى تمسكهم بالكتاب المقدس لكنّ منها ما يخفي ما لا يدركه غير خبير، دلّ عليه كلّ من الباحثين دانيال بورستين وريتشارد بيري، نعرض لوجهيه.

الوجه الأول: إنّ بنود المجموعة الأولى التي أوصى فيها البْيُوريِتَانْزْ بالرجوع إلى: قواعد المسيح وقوانينه وإلى: تعاليم المسيح المبينة في كلامه؛ والبنود التي أسندوا بعبارة: كما حددها المسيح ... في كلامه، أو أسندوها بعبارة كلام الربّ، بنود تتميز بالاستناد إلى مراجعَ، النصارى على خلاف في تأويلها أو تفسيرها وفي بيان معناها أو معانيها.

أمّا بنود المجموعة الثانية فإنها تتميز بالاستناد إلى مقاطع محددة في نصوص الكتاب المقدس تتضمن قوانين صريحة، قال الباحث دانيال بورستين أنها تجتذب البْيُوريِتَانْزْ أو أنها اجتذبتهم لأنّ وصاياها واضحة (١).

الوجه الثاني: لاحظ ريتشارد بيري (٢) إضافات من البْيُوريِتَانْزْ إلى: قواعد المسيح وقوانينه وإلى: تعاليم المسيح المبينة في كلامه، ولاحظ إضافتهم ما أسندوا بعبارة: كما حددها المسيح ... في كلامه.

أدرج البْيُوريِتَانْزْ في المدوّنة كلاً من مبادئهم في اللاّهوت والقوانين

(1) The Americans; D. J. Boorstin. Vol. I, Part III: Search for a New England way; p. 18.

(2) Sources of our liberties; Richard L. Perry. p. 143.

العرفية الإنجليزية، كما أنّ المدوّنة تضمنت نتائج تجاربهم هنالك بأمريكا.

الأمر إذن أنّ هؤلاء:

الذين خاضوا بإنجلترا معارك ابتغاء العمل بما في الكتاب المقدس،

والذين هجروا أوطانهم ابتغاء العيش طبقا للكتاب المقدس،

والذين خاطروا بكلّ شيء عبر البحار ابتغاء العمل بالكتاب المقدس،

والذًين اضطهدوا غيرهم من النصارى بغية الانفراد للعمل بالكتاب المقدس،

والذين انفردوا بأرض أقاموا بها دولة منهم ابتغاء العمل بالكتاب المقدس،

هؤلاء الغلاة من النصارى أخفقوا في اقامة جمهورية كتابية أو جمهورية الكتاب المقدس ولم يقدروا إلاّ على اقامة جمهورية دينية (١) كما تعذّر عليهم استخراج القوانين أو استمدادها من الكتاب المقدس.

هؤلاء الغلاة أخفقوا ووجب عليهم الإقرار بإخفاقهم في صياغة مثيل أمريكي لقوانين إنجلترا.

ابتعدوا بمبررات إخفاقهم عن الكتاب المقدس وجعلوها في التذرع بالافتقار إلى مهارات المحترفين وفي ضيق الوقت (٢).

لقد أبدت معالم كتابات فلاسفة الليبرالية والحرية التي عرض لها هذا الحديث، أنّ النصارى من دعاة الليبرالية والحرية لم يفرّطوا في دينهم ولا فرّطوا في الكتاب المقدس كما لم يفرّط فيه خَلَفَهُمْ.

إنّ النصارى بمحافظيهم ومعتدليهم، لم يقصروا جهودهم على عدم التفريط في الكتاب المقدس بل اتخذوا منه مرجعاً أسسوا عليه أنظمة دولهم ومجتمعاتهم وهم على دراية بما مسّه ...



(1) *Encyclopédia Universalis; Article: Puritanisme ; Jean Beaubérot.*

(2) *The Americans; Daniel J. Boorstin. Vol. I, Part IV, Puritan Conservatism. p. 23.*

الملحق الخامس – ١

بيان علّة تساهم في إدامة تمنّع الارتقاء عن المسلمين

من خلال تحليل مقالتين.

المقالة الأولى: الليبرالية، نشأتها وتطورها ومجالاتها.

عشرة من المواقع العربية العديدة التي وجدنا عرض هذه المقالة عليها:

الشبكة العربية .... arabspc.net/vb/showthread.php?t=2617

مجلة الابتسامة .... ibtesama.com/vb/showthread t_7487.html

منتديات هزاز .... hazaz.net/vb/showthread.php?p=76107

حراس العقيدة .... imanway1.com/horras/showthread.php?t=5536

منتدى التوحيد .... eltwhed.com/vb/showthread.php?t=1026

المهدي....................................... almahdy.net/vb/showthread.php?p=20854

صباح الخير يا شام .... bonjoursham.net/mag/news.php?action=view&id=499

شبكة الدفاع عن السنة .... freewebs.com/bismillah/kutubsaid.htm

الإسلام اليوم ....
islamtoday.net/questions/show_articles_content cfm?id=71&catid=73&artid=150

مسجد السلام .... alsalam-moschee.de/index.html



الوحدات ذات الدلالة الدينية في المقالة.

الوحدات ذات الدلالة الدينية التي وظفها الكاتب في عرض نشأة الليبرالية وتطورها ومجالاتها: الإسلامية، الإصلاح الديني (البروتستانت)، حركة الإصلاح البروتستانتية، الإله، البروتستانتية، تحريم، التحريم، الحسبة، الحق الإلهي، الدعوة الإسلامية، الدين، دين، الديني، الدينية، العقيدة، الكافرين، الكنيسة، للإسلام، المسلمون، المسلمين، للمسلمين، المسيح، المسيحية، المعتقدات الدينية، الهدي النبوي، عقائدية.

توزيع الوحدات ذات الدلالة الدينية بسياقها بحسب موقعها من علاقة الليبرالية بالدّين:

- **وحدات غريبة عن الحديث في علاقة الليبرالية بالدّين** (يقتضيها حديث المسلمين):

- الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد.
- لكل من أهدى لي ملاحظة أو تصحيح أو فائدة أو توثيق الشكر والدعاء بالأجر والثواب.
- وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

- **وحدات غريبة عن الحديث في علاقة الليبرالية بالدّين:**

- هذا يكشف مدى تردد الليبراليين العرب بين مفهوم المصطلح الفلسفي وبين انتسابهم للإسلام.
– أكبر ما يواجه (الدعوة الإسلامية) هو التيار الليبرالي في البلاد الإسلامية.
– ما هذه المعاناة التي نعاني منها في البلاد الإسلامية مثل القوانين الوضعيَّة, والفساد الأخلاقي, وانتشار الإلحاد , وترويج مذاهب الكافرين إلا إفرازا لهذا المذهب الفاسد .
– يعارض فكرة الحسبة لأنه يعتبر ذلك وضعاً للنفس في موضع الإله.
– يصرح ملْ بنقد الدين في اعتراضه على تحريم تجارة الخمر.

- يقول (مِلْ) إن التحريم يمس حرية الفرد.
- سْتِوَارْتْ مِلْ يعود إلى الاعتراف بأهمية الحسبة ويناقض نفسه.
- لنقارن الآن بين قول ملْ الآتي وبين إنكاره مفهوم الحسبة بأنه اتهام للإنسان أنه لا يعرف مصلحته.
- يعارض (مِلْ) فكرة الحسبة.
- يناقض ملْ نفسه في عدة قضايا: (منها) إنكار مبدأ الحسبة وتقييد الحريات المطلقة.
- الدعوة الإسلامية إذا استطاعت أن تواجه المشكلات الداخلية فيها مثل التفرق والفوضوية.
- أننا -مع ضعفنا وهواننا على الناس -أمة منافسة في قوة الدين الذي نحمله.
- الدين الذي يحمله المسلمون فيه من عوامل البقاء والقدرة على الصراع وإمكان التفوق والصعود.
- ما هذه المعاناة التي نعاني منها في البلاد الإسلامية مثل القوانين الوضعيَّة, والفساد الأخلاقي, وانتشار الإلحاد , وترويج مذاهب الكافرين إلا إفرازا لهذا المذهب الفاسد .
- الدين الذي يحمله المسلمون فيه من عوامل البقاء والقدرة على الصراع وإمكان التفوق والصعود.
- قد كان جيل النهضة – كما يسمونه – ممن شارك في دعوة المسلمين إليه ونصحهم به, وصوَّر أن نهضة الغرب وقوة حضارته المادية كانت بسبب اعتناق هذا المذهب الفلسفي.
- نحن المسلمين جزء من هذا العالم الذي يتلقى التأثير من الغرب في كل وقت.
- هذا ما جعل هنتجتون في مقاله (صراع الحضارات) يرشح المسلمين للصراع في المرحلة الحالية والقادمة كبديل للشيوعية بعد سقوطها.
- يقول (مِلْ) إن للمسلمين الحق في تجنبهم لحم الخنـزير لأنهم يعافونه.

– الدعوة الإسلامية إذا استطاعت أن تواجه المشكلات الداخلية فيها – مثل التفرق والفوضوية و مخالفة الهدي النبوي وغيرها ...

- **وحدات ذات دلالة دينية، بعيدة بسياقها عن الحديث في علاقة الليبرالية بالدّين:**

– الدين في كتاب ستيوارت ملْ (عنوان)

– (الليبرالية من) المصطلحات التي تدل على مفاهيم عقائدية ليس لها مدلول واحد محدد عند الأوربيين.

– إن ما أقوله إن ادعاء العصمة معناه إجبار الغير على قبول ما نراه في العقيدة .

– لا أقول أن الاعتقاد بصدق العقيدة مدعاة للعصمة.

– يرد بعض الباحثين جذور الليبرالية إلى ديمقراطيّ أثينا في القرن الخامس قبل المسيح.

– يرد بعض الباحثين جذور الليبرالية إلى ديمقراطيّ أثينا في القرن الخامس قبل المسيح، والرواقين في المراحل الأولى من المسيحية.

- **وحدات ذات دلالة دينية، غير ذات علاقة بسياق الحديث في علاقة الليبرالية بالدّين:**

- (مِلْ) ينتقد الإصلاح الديني (البروتستانت).
- في حركة الإصلاح الديني توجه ليبرالي.
- تنطلق نظرية (جوك لوك) من فكرة العقد الاجتماعي في تصوره لوجود الدولة، وهذا في حد ذاته هدم لنظرية الحق الإلهي التي تتزعمها الكنيسة.
- (مِلْ) ينتقد كل دين أو مجتمع متشدد في قوانينه الأخلاقية والدينية.
- يصرح ملْ بنقد الدين.
- يرى ملْ أن المجتمع الديني غير ليبرالي.

- (مِلْ) ينتقد كل دين أو مجتمع متشدد في قوانينه الأخلاقية والدينية.
- تنطلق نظرية (جوك لوك) من فكرة العقد الاجتماعي في تصوره لوجود الدولة، وهذا في حد ذاته هدم لنظرية الحق الإلهي التي تتزعمها الكنيسة.
- الظاهر من تاريخ الليبرالية أنها كانت رد فعل لتسلط الكنيسة والإقطاع في العصور الوسطى بأوروبا.
- قد تحدث (مل) عن حركة الفكر وقال عن المعتقدات الدينية.

- **وحدات ذات دلالة دينية، تشير إلى وجه قرابة بين الدّين و الليبرالية:**

- يطلق لفظ الليبرالية كذلك على حركة في البروتستانتية المعاصرة.
- يرد بعض الباحثين جذور الليبرالية إلى ديمقراطيّ أثينا في القرن الخامس قبل المسيح، والرواقين في المراحل الأولى من المسيحية، ثم حركة الإصلاح البروتستانتية.

- **وحدات ذات دلالة دينية، تفيد بوجه منها في الإخبار عن موقف الليبرالية من الدّين:**

- الليبرالية *liberalism* فلسفة سياسية ظهرت في أوربا في أوائل القرن التاسع عشر.. تعارض المؤسسات السياسية والدينية. (السياق: ويقول منير البعلبكي: " الليبرالية فلسفة سياسية ظهرت في أوربا في أوائل القرن التاسع عشر.. تعارض المؤسسات السياسية والدينية. التي تحد من الحرية الفردية).

- الليبرالية تعارض المؤسسات السياسية والدينية التي تحد من الحرية الفردية ... (السياق – عن منير البعلبكي-: "والليبرالية تعارض المؤسسات السياسية والدينية التي تحد من الحرية الفردية ... وتطالب بحقه في حرية التعبير وتكافؤ الفرص والثقافة الواسعة").

كان عنوان المقالة قد أخبر أنها تعرض لكلٍّ من نشأة الليبرالية وتطورها ومجالاتها. وكان لسياق الألفاظ ذات الدلالة الدينية تيسير إسهام المقالة في دراسة الفكر الليبرالي والإحاطة بمعالمه تبعاً لما أعلن الكاتب، وكان له تيسير إسهام المقالة في التعريف بنشأة الليبرالية وتطورها ومجالاتها. عرضنا للمقالة فتبيّن أنّ الإسهام قد تعذر بفعل الانحراف بسياق الألفاظ ذات الدلالة الدينية. فقد توزعت الوحدات بين:

- وحدات غريبة عن الحديث في علاقة الليبرالية بالدّين،
- وحدات بعيدة بسياقها عن الحديث في علاقة الليبرالية بالدّين،
- وحدات غير ذات علاقة بسياق الحديث في علاقة الليبرالية بالدّين،
- وحدات تشير إلى وجه قرابة بين الدّين و الليبرالية،
- وحدات يفيد وجه منها في الإخبار عن موقف الليبرالية من الدّين.

دلّ هذا التوزع على أنّ الوحدات ذات الدلالة الدينية التي تخبر عن موقع الدّين من الليبرالية وتخبر عن موقف الليبرالية من الدِّين والتي بلغ عددها (٤٣) وحدة، لا تمثل عُشُرَ وحدات المقالة ذات الدلالة الدينية.

يعنينا من الأمر هنا أنّ الوحدات الدالة على الدّين في هذه المقالة لا تفيد في الإخبار عن موقع الدِّين من منشإ الليبرالية كما لا تفيد في الإخبار عن مقتضيات الليبرالية اللاهوتية، وفي هذا دلالة على أنّ هذه الكتابات تحجب لاهوت الليبرالية على غرار فعلة الكتابات الأكاديمية.

الملحق الخامس – ٢

بيان علّة تساهم في إدامة تمنّع الارتقاء عن المسلمين

من خلال تحليل مقالتين.

المقالة الثانية: نظرة في الليبرالية من الداخل.

عشرة من المواقع العربية العديدة التي وجدناها تعرض هذه المقالة على متصفحيها (بهفواتها وأخطائها):

saaid.net/Doat/abu_sarah/71.htm ....

جزئين من موقع: المختار الإسلامي:

islamselect.com/mat/9564 ....

islamicselections.net/mat/9919 ....

basmh.net/vb/showthread.php?t=5156 .... بسمه

eltwhed.com/vb/showthread.php?t=1025 .... منتدى التوحيد.

imanway1.com/horras/showthread.php?t=5311.................... حراس العقيدة.

s77.com/prog/pafiledb.php?action=file&id=4659 com.............. صح ٧٧.

shdadeen.com/vbq/archive/index.php/t-9174.html منتديات الشدادين

jehaat.com/vb/archive/index.php/t-1330.html .... منتدى جهات الأدبية

almahmoud.net/mohammad/viewDataFeraq.php?cat=feraq_mazahb_info&level=1.. آل محمود.



توزيع الوحدات ذات الدلالة الدينية بسياقها بحسب موقعها من علاقة الليبرالية بالدّين:

الوحدات ذات الدلالة الدينية التي وظفها الكاتب.

وحدات المقالة ذات الدلالة الدينية: دين، الدين، للدين - الإسلام - النصرانية "المسيحية" - مسلم, المسلمون، المسلمين، للمسلمين - الكنيسة - عقيدة، العقيدة، العقائد - اليهود، لليهود - الجوييم - إسلامي، إسلامية، الإسلامية - اليهودية - الوثنية - المسيح - مجمع نيقية (+ الثاني) - القسيس - الديني، دينية - الحملات الصليبية - البابوات - الملل - ملة - المسيحيين - المسيحيين (الجوييم) - المذاهب - للنصرانية - الكنيسة الكاثوليكية - الكتاب المقدس - علماء المسلمين - العقيدة الإسلامية - صلاته - الشرائع - السلطة الدينية - ربه - دين اليهودي بولص - دين المسيح عيسى - الدين الإسلامي - الحكم الإلهي - حرية العبادة - الحروب الصليبية - حركة مارتن لوثر - حركة كالفن - حركة الإصلاح البروتستانتية - الحركات الإصلاحية - حديث - التماثيل- الإنجيل- إلهية - الآلهة - الإكليركية - الإصلاح البروتستانتي.

الوحدات ذات الدلالة الدينية،
غير ذات العلاقة بالحديث في علاقة الليبرالية بالدّين

- بولص (= شاؤول)، الذي دخل في النصرانية بعد وفاة المسيح.
- الظاهرة التي نحاول إبرازها والتي اتضحت معالمها في القرن الخامس قبل المسيح، هي خروج بعض المجتمعات اليونانية، خصوصا أثينا، من إطار المجتمعات القبلية المنغلقة.
- وقد كان من الممكن أن يكون الإسلام هو الدين البديل الصحيح، المصحح للذهنية الأوربية.
- البابوات أججوا العنصرية والكراهية تجاه الإسلام.
- الحملات الصليبية كانت لها الأثر الكبير في ترسيخ النفور من الإسلام.

- رأت أوربا عظم مدن الإسلام، فأصغر مدينة كانت تبلغ عشرة أضعاف العاصمة روما.

- أوربا تذهل للمكتبات الهائلة في مدن الإسلام.

- الإمبراطوا فرديدرك الثاني، وهو من أكبر أباطرة القرون الوسطى كان يتحدث العربية، وكان بلاطه عربي العلم واللسان [...] اتهمته الكنيسة بالإسلام.

- أوربا [...] تفاجأ بالعالم الإسلامي زاخرا بالمستشفيات والمعامل القائمة على المنهج التجريبي.

- بلغ إعجاب أوربا بالحضارة الإسلامية أنّ ...

- لكن من يعاين (الحرية) ويعايشها يكون أشد تحركا لتحصيلها، وهذا بالضبط ما كان من شعوب الغرب بعد احتكاكها بالشعوب الإسلامية..

- كان الأوربي يعتقد أن القيصر من نسل الآلهة.

- أوربا لم تعرف قرونا كتابا إلا الإنجيل.

- البابوات أججوا العنصرية والكراهية تجاه الإسلام.

- أوربا [...] فتحت عينيها [...] وهي تعيش تحت سلطة: البابوات، والإقطاعيين، والملوك.

- أدعياء العلم والفطنة من الجوييم لم يفهموا مدلول كلمات (الحرية، والمساواة، والإخاء).

- فات هؤلاء الجوييم أن يدركوا أن الجماهير قوة عمياء.

- فات الجوييم أن يدركوا أن السياسية لا تتطلب أذكياء متفوقين في ملكاتهم العقلية.

- السياسية لا تتطلب أذكياء متفوقين في ملكاتهم العقلية، وإنما تتطلب أفرادا فقهوا أسرارها وإن خلوا من كل مزية لا دخل لها في السياسة، وكل هذا مما فات الجوييم إدراكه.

- تم سحق أرستقراطية الجوييم التي منحتهم الرفعة والحصانة والامتياز على الطبقات الأخر.

- لقد كانت الحروب الصليبية بالنسبة لأوربا كشف غطاء عن ناحية مستورة.

- البابوات [...] حملوا الشعوب على الخروج لقتال المسلمين فيما عرف بالحملات الصليبية.

- الحملات الصليبية [...] كانت نقطة تحول كبير في التاريخ الأوربي.

- فالربط بين انهيار الحضارة الرومانية بتحول أوربا إلى النصرانية، والممارسة الكنسية الدكتاتورية، حمل الأوربي على التشاؤم والنفور من الدين جملة.

- وقد كان من الممكن أن يكون الإسلام هو الدين البديل الصحيح، المصحح للذهنية الأوربية.

- لا يمكن تصور فلسفة علمانية يكون من مبادئها الولاء لهذا الدين أو ذاك.

- ارتبطت الوثنية بالحضارة والقوة، والدين بالهزيمة والانحطاط في الذهنية الأوربية، منذ فترة مبكرة، وهو ما كان له آثار بعيدة المدى في علاقة أوربا بالدين.

- الذهنية الأوربية كثيرا من الأفكار السلبية التي علقت بها تجاه الدين.

- أوربا لم تعتنق دين المسيح عيسى - عليه السلام -.

- اعتنقت أوربا [...] دين اليهودي بولص (= شاؤول).

- كان الأوربي يرى المسلم يعبد ربه بلا واسطة، في بيوت كثيرة.

- كان لعلماء المسلمين المنزلة والقدر الكبير.

- أوربا لم تعرف قرونا قارئا إلا القسيس.

- كان الأوربي لا يستطيع القيام بصلاته إلا من خلال القسيس.

- فالربط بين انهيار الحضارة الرومانية بتحول أوربا إلى النصرانية، والممارسة الكنسية الدكتاتورية، حمل الأوربي على التشاؤم والنفور من الدين جملة.

- كانت الكنيسة تحرق وتعذب العلماء.

- يظهر ذلك في محاولات العلماء كسر طوق الكنيسة حول المسائل العلمية

- الإمبراطوا فرديدرك الثاني، وهو من أكبر أباطرة القرون الوسطى كان يتحدث العربية، وكان بلاطه عربي العلم واللسان [...] اتهمته الكنيسة بالإسلام، وسمته الزنديق الأعظم.

- غير أن دور الفرد في القرون الوسطى أصبح ثانويا نتيجة السيطرة الكاملة التي مارستها الكنيسة الكاثوليكية على المجتمعات الأوربية برمتها.

- اعتنقت أوربا النصرانية (عام ٣٢٥م) بعد مجمع نيقية.

- عادت أوروبا إلى الوثنية والتصوير مرة أخرى بعد مجمع نيقية الثاني ٧٨٧م.

- كان الأوربي يرى المسلم يعبد ربه بلا واسطة، في بيوت كثيرة.

- رأوا كيف يتعامل المسلمون بالعهود والمواثيق في السلم والحرب.

- وكان نقد الغرب لمنطق أرسطو واتخاذهم المنهج التجريبي بدلا من الفكري المجرد، تقليدا للمسلمين .

- البابوات [...] حملوا الشعوب على الخروج لقتال المسلمين.

- وفي حال أوربا فإن احتكاكها بالمسلمين بدأ بالحروب التي ابتدأتها.

- والشعب الأوربي الذي جله يعيش العبودية، يجد المسلمين أحرارا، يفعلون ما شاءوا.

- الأوروبي [...] يرى المسلمين وسلاطينهم تارة من العرب وتارة من الترك، وهم بشر كسائر البشر.

- ساعد على هذا المفهوم الرواقي للحرية، المرتكز على ذاتية الفرد وخصوصيته، على انتشار المسيحية.

- في المراحل الأولى من المسيحية.

- المسيحية ركزت على مبدأ المسئولية الشخصية، وأبرزت دور الضمير في تقرير أخلاقية تصرف الفرد.

- من هذا النصر وصول الورقة الرابحة إلى أيدينا، ويسرت لنا القضاء على طبقة الأشراف المسيحيين.

- هذه الكلمات الساحرة (حرية، مساواة، إخاء) كانت سوسا ينخر في كيان سعاد المسيحيين (الجوييم)

- اعتناق أوربا للنصرانية.

- أوربا تعتنق النصرانية (عنوان فرعي).

- اعتنقت أوربا النصرانية (عام ٣٢٥ هـ).

- بولص (= شاؤول)، دخل في النصرانية.

- الانحطاط الكامل [...] تزامن مع انتشار النصرانية في أوربا وانتقال العاصمة من روما إلى القسطنطينية.

- حكم بأن سبب انهيار الإمبراطورية الغربية: تحولها من الوثنية إلى النصرانية.

- حكم بأن سبب انهيار الإمبراطورية الغربية: تحولها من الوثنية إلى النصرانية.

- فالربط بين انهيار الحضارة الرومانية بتحول أوربا إلى النصرانية، والممارسة الكنسية الدكتاتورية، حمل الأوربي على التشاؤم والنفور من الدين جملة.

- عادت إلى الوثنية والتصوير مرة أخرى بأمر الإمبراطورة "إيريني" بعد مجمع نيقية الثاني ٧٨٧ هـ.

- ارتبطت الوثنية بالحضارة والقوة، والدين بالهزيمة والانحطاط في الذهنية الأوربية.
- الملكية كانت تعتبر الحكم حقها المطلق، الموروث، الممنوح لها من خالق الكون، وحكمها بمشيئة إلهية.
- وظهرت في أوربا حركة تحطيم الصور والتماثيل في أوائل القرن الثامن الميلادي.
- كانت أوربا قبل ذلك تحت الحضارة الرومانية الجاهلية، فلم تنتفع من الدين الجديد بشيء.

الوحدات ذات الدلالة الدينية، غير ذات العلاقة بالحديث في مقتضيات علاقة الليبرالية بالدّين

- إذا ثبت تعارض الليبرالية ومبادئ العقيدة، عطلنا العمل بهذه الليبرالية، من أجل مبادئ الإسلام.
- يخرق هو نفسه هذا المبدأ في الفلسفة الليبرالية، عندما يشترط أن لا تكون في تعارض مع العقيدة الإسلامية، أي يمنع عن الليبرالية أن تكون غير إسلامية.
- إذا ثبت بآية صريحة أو حديث صحيح أن هناك تعارضا بين هذه الليبرالية ومبادئ العقيدة، عطلنا العمل بهذه الليبرالية، وضحينا بها.
- إذا ثبت بآية صريحة أو حديث صحيح أن هناك تعارضا بين هذه الليبرالية ومبادئ العقيدة، عطلنا العمل بهذه الليبرالية، وضحينا بها.
- في نص القانون الذي يحمي حرية العبادة (كتبه جيفرسون عام ١٧٧٩، وصدقه المجلس الاشتراعي لولاية فرجينيا في العام ١٧٨٦) ...
- إن مفهوم الليبرالية، كما وضع له في الغرب، يصطدم بالدين الإسلامي، بل كافة الشرائع، في أصول لا يستهان بها، كاستبدال الحكم الإلهي بالحكم البشري.

- الليبرالية رد فعل عنيف مدمر على انتهاك بيّن لقيمة الإنسان باسم الدين.
- إن مفهوم الليبرالية، كما وضع له في الغرب، يصطدم بالدين الإسلامي.
- (هدف الترويج للحرية و الليبرالية): إزالة الأنظمة السائدة، من حكومات ملكية أرستقراطية دينية.
- كان الأوربي لا يستطيع القيام بصلاته إلا من خلال القسيس.
- إذا ثبت بآية صريحة أو حديث صحيح أن هناك تعارضا بين هذه الليبرالية ومبادىء العقيدة، عطلنا العمل بهذه الليبرالية، وضحينا بها.
- يخرق هو نفسه هذا المبدأ في الفلسفة الليبرالية، عندما يشترط أن لا تكون في تعارض مع العقيدة الإسلامية، أي يمنع عن الليبرالية أن تكون غير إسلامية.
- ينطلق اليهود في ترسيخ الفكرة الليبرالية من فهم نفسيات الشعوب.
- وفائدة (الفكرة الليبرالية) قاصرة على ذوي الأهداف الفاسدة الشريرة، وهم اليهود.
- لليهود دور أساسي في ترسيخ الفكرة الليبرالية في المجالات الغربية: السياسة والاقتصاد والفكر.
- لكن كان لا بد من الترويج لـ(الفكرة الليبرالية) من أجل هذا الهدف، وهو إزالة الأنظمة التي تعوق خطط الصهيونية اليهودية الماسونية في الوصول إلى الحكم.
- (هدف الترويج للحرية و الليبرالية): فتح الباب لتغيير (حكومات الأنظمة الفاسدة ملكية أرستقراطية) كلما دعت الحاجة والمصلحة الصهيونية الماسونية اليهودية.
- لكن (الليبرالية) سبيل لتحقيق أهم أهداف اليهودية الصهيونية.

الوحدات ذات الدلالة الدينية،
غير ذات الإفادة في الإخبار عن موقع الدّين من الليبرالية:

السلطة الدينية - سلطان الكنيسة – حركات الإصلاح البروتستانتية – الحركات الإصلاحية – الحركات الإصلاحية، مثل حركة مارتن لوثر وكالفن – حركة الإصلاح البروتستانتية – الدين أي دين – الإكليركية – السلطة للدين – العقائد – عقيدة – العقيدة – كافة الشرائع – الكتاب المقدس – كل العقائد – الكنسية – المذاهب – الملل – أي ملة – اليهود.

أمثلة من توظيف الوحدات الدالة على الدين في الحديث عن مقتضيات الليبرالية دون أن يفيد سياق الحديث في الإخبار عن موقع الدّين من الليبرالية:

- **حالة من الإخبار عن موقف الليبرالية من الدين بما يدل عليه سياق كلمات العقائد و الملل والمذاهب في قول الكاتب:** فهذا المذهب لا يمنع أي دين، ولا يدعو إلى أية عقيدة أو ملة، إذ يقوم على الحياد التام تجاه كل العقائد والملل والمذاهب، فلكل فرد أن يعتنق ما شاء، وله الاستقلال التام في ذلك، لا يجبر على فكر أبدا، ولو كان حقا، وهو ما عبر عنه هاليفي بالحرية الميتافيزيقية، فهو بهذا المعنى يحقق العلمانية في الفكر، وهو منع فرض المعتقدات الخاصة على الآخرين، كما يمنع فرض الدين في السياسة، أو في شئون الحياة، وهذه هي العلمانية؛ ولذا لا نجد دولة ليبرالية الفلسفة إلا وهي علمانية المذهب في الفكر.

- **حالة الخلو من الدلالة في مثل سياق كلمة الدِّين في أول الفقرة التالية مما أورد الكاتب من كتاب بروتوكولات حكماء صهيون:** هناك سلطة الذهب التي صارت في أيامنا بديلا عن سلطة الحكام الأحرار، وانتهى العهد الذي كانت فيه السلطة للدين.

- **حالة الخلو من الدلالة في مثل سياق مفردات الحركات الإصلاحية، حركة مارتن لوثر وكالفن في الفقرة التالية:** [...] يظهر ذلك في محاولات

العلماء كسر طوق الكنيسة حول المسائل العلمية، وتحملهم لأجل ذلك التعذيب والقتل والتحريق، وكذا الحركات الإصلاحية، مثل حركة مارتن لوثر وكالفن.

- **حالة الخلو من الدلالة في مثل سياق مفردات الكنسية والإكليركية والكتاب المقدس في قول الكاتب:** غير أن دور الفرد في القرون الوسطى أصبح ثانويا [...] ومن هنا أهمية الدور الذي أدته حركات الإصلاح البروتستانتية ابتداء من القرن السادس عشر، ذلك أن الفرد، لا الكنسية وسلطاتها الإكليركية، بات هو المرجع في تفسير الكتاب المقدس، ومن ثم في إقرار نمط الحياة، وقد كان لهذه العودة إلى التركيز على الفرد أثر هام في نشوء الليبرالية بمعناه الحديث.

- **حالة إخبار عن عمل اليهود:** الأقرب أنّ (الفكرة الليبرالية) ابتدعت تلبية لحاجة نفسية، وثورة على كبت مطلق، لكن اليهود أحسنوا استغلال هذه الحاجة والثورة، بما يحقق أهدافهم، على حين غفلة.

الوحدات ذات الدلالة الدينية،
غير ذات الإخبار عن موقع الدّين من الليبرالية:

- فكيف يستقيم لمن يفهم هذه الحقائق عن "الليبرالية" أن يدعو لها، ويزعم صلاحها، وهي معارضة تماما للإسلام ؟

- ومن هنا أهمية الدور الذي أدته حركات الإصلاح البروتستانتية ابتداء من القرن السادس عشر.

- الفرد، لا الكنسية وسلطاتها الإكليركية، بات هو المرجع في تفسير الكتاب المقدس.

- وكذا الحركات الإصلاحية، مثل حركة مارتن لوثر وكالفن.

- يظهر ذلك في محاولات العلماء كسر طوق الكنيسة حول المسائل العلمية، وتحملهم لأجل ذلك التعذيب والقتل والتحريق، وكذا الحركات الإصلاحية.

- ثم في حركة الإصلاح البروتستانتية.

- وكذا الحركات الإصلاحية، مثل حركة مارتن لوثر وكالفن.

- (الليبرالية السياسية) نظام سياسي يقوم على [...] أساس فصل الدين عن الدولة (=علمانية)..

- فالعلمانية تعني [...] فصل الدين عن النشاط البشري بعامة.

- فالعلمانية تعني فصل الدين عن السياسة.

- فهذا المذهب (الليبرالية) لا يمنع أي دين.

- الليبرالية مذهب: يمنع فرض الدين في السياسة.

- من مبادئ الليبرالية: أنها لا تمنع أي دين.

- الليبرالية مثل الإنسانية [...] تقرر التمرد على سلطان الكنيسة.

- انتهى العهد الذي كانت فيه السلطة للدين.

- الليبرالية فكرة إنسانية أوربية صدرت وقررت وأسست وقعدت (من أجل الإنسان)، أي لأجل منافعه وكرامته، ورفع معاناته من ذوي السلطة الدينية والدنيوية.

- إن مفهوم الليبرالية، كما وضع له في الغرب، يصطدم بالدين الإسلامي، بل كافة الشرائع.

- عقيدة (الليبرالية) الوحيدة هو الحياد تجاه كل العقائد.

- الليبرالية مذهب: يقوم على الحياد التام تجاه كل العقائد.

- فهذا المذهب لا يمنع أي دين، ولا يدعو إلى أية عقيدة.

- لا يمكن تصور فلسفة علمانية يكون من مبادئها الدفاع عن هذه العقيدة أو تلك.

- من مبادئ الليبرالية: أنها لا تدعو إلى أية عقيدة.

- الفرد، لا الكنسية وسلطاتها الإكليركية، بات هو المرجع في تفسير الكتاب المقدس.

- الليبرالية مذهب: يقوم على الحياد التام تجاه كل المذاهب.

- فكيف يستقيم لمن يفهم هذه الحقائق عن "الليبرالية" أن يدعو لها، ويزعم صلاحها، وهي معارضة تماما للإسلام.. إذا كان مسلما ؟!!.

- فهذا المذهب لا يمنع أي دين، ولا يدعو إلى أية ملة.

- الليبرالية مذهب: يقوم على الحياد التام تجاه كل الملل.

- الأقرب أنّ (الفكرة الليبرالية) ابتدعت تلبية لحاجة نفسية، وثورة على كبت مطلق، لكن اليهود أحسنوا استغلال هذه الحاجة والثورة، بما يحقق أهدافهم، على حين غفلة.

- إذن، اليهود كانوا وهم يروجون لليبرالية يعلمون أنها شعار أجوف.



كان كاتب هذه المقالة قد مهد لها بإيضاح قال فيه: "الليبرالية" ذات أسس وقواعد وأفكار محددة سلفا، فأي خرق لتلك الأمور نفي وإلغاء لما يقوم عليها، وهذا أمر ينبغي على كل من يدعو إلى فكرة ما مثل "الليبرالية، أن يفهمها بوضوح، كيلا يقع في مغالطة صريحة، فيلبس فكرة غير لباسها الملائم، ليعري في الحين ذاته عقيدة ومبدأ من لباسه.

أضاف: ونحن ندعو كل من أعجبته فكرة ما، أو أراد، أو اعتنق فكر ما، أن يبادر قبل ذلك إلى دراستها حتى يكون على بينة من أمرها، كيلا يأسف يوما على ضياع وقت أو هدف، لأجل خطأ في الاختيار.. أفصح هنالك أنه يساهم في حل «مشكلة الاختيار الصحيح، والتعرف الدقيق على فكرة ما» بهذا البحث الموجز حول "الليبرالية".

أخيراُ فقد عرض هذا التذييل لمقالة « نظرة في الليبرالية من الداخل » فتبيّن أنّ إسهامها في التعريف الدقيق بالليبرالية قد تعذر بفعل الانحراف هنا أيضاً بسياق الألفاظ ذات الدلالة الدينية، فقد توزعت الوحدات ذات الدلالة الدينية بسياقاتها إلى ثلاث:

وحدات غير ذات العلاقة بالحديث في علاقة الليبرالية بالدّين (٦٦).

وحدات غير ذات العلاقة بالحديث في مقتضيات علاقة الليبرالية بالدّين (١٨) .

وحدات غير ذات الإخبار عن موقع الدّين من الليبرالية (٣٠).

يشير هذا التوزع إلى أنّ ثلاث أرباع الوحدات ذات الدلالة الدينية في المقالة وقد بلغ عددها (٨٤) وحدة من مجموع (١١٤)، لا علاقة لها بموقع الدّين من الليبرالية.

يشير التوزع أيضاً إلى أنّ وحدات الثلث الرابع ذات الدلالة الدينية لا تفيد في الإخبار عن موقع الدّين من الليبرالية.

يعنينا من الأمر هنا أيضاً، أنّ الوحدات الدالة على الدّين في هذه المقالة لا تفيد في الإخبار عن موقع الدِّين من منشإ الليبرالية كما لا تفيد في الإخبار عن مقتضيات الليبرالية اللاهوتية، وفي هذا دلالة على أنّ هذه الكتابات تحجب بدورها لاهوت الليبرالية على غرار فعلة الكتابات الأكاديمية.



الملحق السادس

مقاطع من مقدمة كتاب « نظريات الإعلام الأربع »

Four Theories of the Press

***«Four Theories of the Press – Introduction»**:*

« [...] In simplest terms the question behind this book is, why is the press as it is ? Why does it apparently serve different purposes and appear in widely different forms in different countries ?

Why, for example, is the press of the Soviet Union so different from our own, and the press of Argentina so different from that of Great Britain ? Partly, of course, these differences reflect the ability of a country to pay for its press, the mechanical ingenuity and ressources that can be put behind mass communication, and the relative degree of urbanization which makes the circulation of mass media at once easier and more necessary. Partly, the differences in the press of different countries reflect simply what people do in different places and what their experience leads them to want to read about.

But there is a more basic and important reason for these differences.

The thesis of this volume is that the press always takes on the form and coloration of the social and the political structures within which it operates.

Especially, it reflects the system of social control whereby the relations of individuals and institutions are adjusted.

We believe that an understanding of these aspects of society is basic to any systematic understanding of the press.

To see the differences between press systems in full perspective, then, one must look at the social systems in which the press functions. To see the social systems in their true relationship to the press, one has to look at certain basic reliefs and assumptions which the society holds : the nature of man, the nature of society and the state, the relation of man to the state, and the nature of knowledge and truth.

Thus, in the last analysis the difference between press systems is one of philosophy, and this book is about the philosophical and political rationales or theories which lie behind the different kinds of press we have in the world today.

Since the beginning of mass communication, in the Renaissance, there have been only two or four basic theories of the press – two or four, that is, according to how one counts them.

We have written four essays about them, but have tried to make clear that the latter two « theories » are merely developments and modifications of the first two.

*The Soviet Communist theory is only a development of the much older Authoritarian theory, **and what we have called the Social Responsibility theory is only a modification of the Libertarian theory.***

But because the Soviets have produced something so important to the world today, and because the social responsibility theory road is the apparent direction of development which our press is now taking, we have thought it better to point out relationships.

The oldest of theses theories is the Authoritarian. It came into being in the authoritarian climate of the late Renaissance, soon after the inventing of printing.
In that society, truth was conceived to be, not the product of the great mass of people, but of a few wise men who were in a position to guide and direct their fellows. Thus truth was thought to be centered near the center of power.
[…]
But the growth of political democracy and religious freedom, the expansion of free trade and travel, the acceptance of laisser-faire economics, and the general philosophical climate of the Enlightment, undermined authoritarianism and called for a new concept of the press. ***This new theory, which was incipient in the late seventeenth century, came into real being in the eighteenth, and flowered in the nineteenth, is what we have called the Libertarian theory.***
The Libertarian theory reverses the relative position of man and the state as we saw it in the Authoritarian theory. Man is no longer conceived of as a dependent being to be led and directed, but rather as a rational being able to discern between truth and falsehood, between a better and whose alternative, when faced with conflicting evidence and alternative choices. Truth is no longer conceived of as the property of power. Rather, the right to search for truth is one of the inalienable natural rights of man. And where does the press fit into the sheme ? The press conceived of as a partner in the search for truth.

In Libertarian theory, the press is not an instrument of government, but rather a device for presenting evidence and arguments on the basis of which the people can check on government and make up their minds as to policy. Therefore, it is imperative that the press be free from government control and influence. In order for truth to emerge, all ideas must get a fair hearing ; there must be a « free market place » of ideas and information. Minorities as well as majorities, the weak as well as the strong, must have access to the press. This is the theory of the press which was written into our Bill of Rights.
For two hundred years the United States and Great Britain have maintained this kind of press, almost wholly free of government influence and encouraged to serve as a « Fourth Estate » in the governing process. As we indicated earlier, most other non-Communist countries have given at least lip service to the Libertarian theory of the press. But in our own century there have been currents of change. These currents have taken the form of a new authoritarianism in the Communist countries and a trend toward a new Libertarianism in the non-Communist countries. ***It is the second of these that we have called, for want of a better name, the Social Responsibility theory.***
[…]
Each of the four chapters that follows represents the individual works, style, and opinion of its author. We have made no attempt to impose a majority viewpoint on any of the moot points discussed in these chapters, although we have talked over among ourselves our papers and our conclusions […] ».

Extract from the «Introduction» of «Four theories of the press»; p. 1 to 6.

الملحق السابع

مقابلة

مقاطع النص الذي نشر بالعربية سنة **١٩٦٥م**

في كتاب « الإعلام له تاريخه ومذاهبه »

و

مقاطع من النص الذي كان قد نشر بالإنجليزية سنة **١٩٥٦م**

في كتاب « نظريات الصحافة الأربع »

مقاطع النص الذي نشر بالعربية سنة ١٩٦٥م
في كتاب « الإعلام له تاريخه ومذاهبه »

النظرية الثانية – نظرية الحرية

وهي النظرية التي يأخذ بها المعسكر الغربي في أيامنا هذه، ونعني به المعسكر الذي يضم أوروبا وأمريكا وجميع الدول التي تدور في هذا الفلك.

يرى أنصار هذه النظرية أن سعادة الفرد ورفاهيته هي الغاية الأولى والأخيرة من وجود المجتمع، وأن المجتمع إنما وجد لمصلحة الفرد وليس غير، ولذلك يجب أن تتخذ جميع الاحتياطات التي تحمي الفرد من استبداد المجتمع أو الحكومة.

كما يرى أصحاب هذه النظرية أن الفرد أسمى من الحكومة أو الدولة، وأن الدولة ليست إلا وسيطا يمارس الفرد من خلاله كل نشاط يريد ممارسته. فإذا حاولت الحكومة أن تقف في وجه هذا النشاط الفرد فهنا يجب على الأفراد أن يحاربوها بكل ما لديهم من قوة، وذلك حتى يأتوا بحكومة جديدة تتفق وهذا المذهب وهو مذهب الحرية.

ويبني أصحاب هذه النظرية كل هذه الآراء على إيمانهم المطلق بالإنسان من حيث هو إنسان، فيقولون إن هذا الإنسان يختلف عن الحيوان بأشياء كثيرة، منها قدرته على التفكير وقدرته على التذكر، وقدرته على استخدام خبراته السابقة في الوصول إلى نتائج يبني عليها أحكاما.. و هكذا. ص: ١١٥.

مقاطع من النص الذي كان قد نشر بالإنجليزية سنة ١٩٥٦ م
في كتاب « نظريات الصحافة الأربع »

"THE LIBERTARIAN THEORY OF THE PRESS"
(pp. 39-71)

Like other theories of the status and function of the mass media of communication in society, the libertarian doctrine is a development of the philosophical principles which provide the basis for the social and political structure whithin which the media operate. Liberalism, as a social and political system, has a framework for the institutions, is conditionned by the principles underlying the society of which it is a part.
For the last century, a large part of civilized world has professed to adhere to the principles of liberalism. Today, except for the countries under Communist domination, most nations at least theoretically have based their social and political organization on the theories of liberalism [...].

BASIC POSTULATES
(pp. 40-41)

To understand the principles governing the press under democratic governments, one must understand the basic philosophy of liberalism as it developed in the seventeenth and eighteenth centuries. The democratic nations of today owe their birth to principles which gradually evolved from the theoretical explorations of a large number of individual thinkers. Those thinkers in turn were directly influenced in their speculations by the social, political, and economic events of their times.
The principles of libertarian philisophy, as of authoritarianism, are based on the answers to questions about the nature of man, the nature of society and man's relation to it, and the nature of knowledge and of truth. Althought libertarian philosophers may differ widely, they have a number of common bonds which identify them as belonging to a general school or system of philosophy.
Man, say the libertarians, is a rational animal and is an end in himself.
The happiness and well-being of the individual is the goal of society, and man as a thinking organism is capable of organising the world around him and of making decisions which will advance his interests. Although men frequently do not exercice their God-given powers of reason in resolving human problems, in the long run they tend, by the aggregate of their individual decisions, to advance the cause of civilisation. Man differs from lower animals in his ability to think , to remember , to utilize his experience , and to arrive at conclusions. Because of his unique ability, man is unique. He is the prime unit of civilisation as well as its mover. The fulfillment of the individual therefore becomes the ultimate goal – the goal of man, of society, and of the state.
Libertarians have given varying accounts of the origin of society, but all agree that the prime function of society is to advance the interests of its individual members. Many adherents of liberalism cast a nostalgic eye at man in a state of nature where he was unencumbered by much of the paraphernalia of civilisation. Although society undoubtedly can contribute much to the well-being of man , at the same time protections should be found against the tendency of society to take over the major role, and become an end in himself.

تطور المذهب الحر

إذا عدنا بالعالم الأوروبي إلى القرن الثاني عشر الميلادي وجدنا أن الكشوف الجغرافية والعلمية التي شهدها ذلك القرن قد عملت فجأة على توسيع أفق الفرد، وكان ظهور الطبقة الوسطى إذ ذاك من العوامل التي أثرت في المذهب الحر، ذلك أن مصالح هذه الطبقة -وأكثرها من التجار- كانت تتطلب وضع حد للخلافات الدينية من جانب، والامتيازات الكثيرة التي كانت للنبلاء من جانب آخر، كما كانت تتطلب وضع حد لسيطرة الحكام، ووضع أسس جديدة للحرية الاقتصادرية التي يجب ألا تتقيد بهذه القيود التي أشرنا إليها أو ترتبط بها.

ثم أتى القرن السابع عشر فشهد تطورا فلسفيا أدى إلى ظهور مباديء الحرية، وهي المباديء التي وضعت موضع التنفيذ في القرن الثامن عشر، وكانت انجلترة في أثناء القرن السابع عشر تبدو بمثابة المركز الرئيسي لحركة سياسية انتصر فيها البرلمان على التاج، وعندما ظهر نظام الأحزاب أخذ وجه الحياة الأوروبية كلها يتغير تغيرا يوشك أن يكون تاما من جميع جوانبه. ص: ١١٥-١١٦.

The philosophers of liberalism emphatically deny that the state is the highest expression of human endeavor, although they admit with some hesitancy that the state is a useful and even necessary instrument. The state exists as a method of providing the individual with a milieu in which he can realize his own potentialities . When it fails to further this end , it becomes a handicap which should be either abolished or drastically modified. Liberal philosophy does not accept the proposition that a society becomes a separate entity of greater importance than the individual members which comprise it [...].
The libertarian theory of the nature of knowledge and of truth strongly resembles the theological doctrines of early Christianity. The power to reason was God-given just as the knowledge of good and evil was god-given [...].

THE DEVELOPMENT OF LIBERALISM
(pp. 41-43)

The sixteenth century provided the experiences ; the seventeenth century saw the development of the philosophical principles ; and the eighteenth century put these principles into practice [...]
The geographical discoveries of the sixteenth century provided a new spaciousness for the mind s of men.
[...]
Another factor affecting the develpment of liberalism was the emergence of the middle class. In most countries of western Europe , the interests of the developing commercial class demanded an end to religious disputes. It also required limitations of monarchical powers and on the special privileges of the nobility [...]
England was the principal source of political philosophy in the seventeenth century [...] The Revolution of 1688 resulted in the supremacy of Parliament over the Crown , in the creation of a party system, and above all in the justification of the right of revolution.

فلاسفة المذهب الحر والأفكار التي وراء هذا المذهب

كان جون لوك من أشهر الفلاسفة الذين تعرضوا لشرح هذا التطور الجديد الذي طرأ على الحياة في إنجلترة في القرن السابع عشر ثم تركت فلسفته آثارا بعيدة المدى في جميع المفكرين الذين أتوا من بعده، و نحن نعرف أن لوك قد بنى تفكيره على أساس من الرأي القائل بأن الشعب هو مصدر السلطات و أن الحكومة ليست إلا هيئة من الأوصياء اختارها الشعب، وفوض إليها أمره، وأن من حق الشعب دائما أن يسحب هذه السلطة متى شعر بأن الحكومة لا تعمل لصالحه، ولقد لقيت مباديء لوك هذه تقديرا كبيرا من جمهور المثقفين، ومنها اقتبست الثورتان الفرنسية والأمريكية كثيرا من الأفكار التقدمية.

و من الفلاسفة الذين ساهموا بجهد كبير في الانتصار لهذا المذهب ثلاثة من الإنجليز ورابع أمريكي، وهؤلاء الأربعة هم : جون ملتون في القرن السابع عشر وجون أرسكين، وتوماس جيفرسون في القرن الثامن عشر وجون ستيوارت مل في القرن التاسع عشر. ص: ١١٦-١١٧.

John Locke was the apologist and theorist for the British developments , and his political philisophy profoundly affected all subsequent western libertarians . Basing his conclusions on empirical methods, Locke developed a theory of popular sovereignty, with the center of power in the will of the people. The government was merely the trustee to which the people had delegated authority and from which they could withdraw it.
[...] The revolutionary aspects of Locke made him a source of inspiration of both the American and French revolutions, and much of his phraseology found its way into the American Declaration of Independance and the French Rights of Man.
The "Enlightment" of the seventeenth and eighteenth centuries contributed immeasurably toward the acceptance and diffusion of libertarian principles. Its basic aim was to free man from all outside restrictions on his capacity to use his reason for solving religious, political and social problems.
The basic idea underlying all tendancies of enlightment was the conviction that human understanding is capable, by its own power and without recourse to supernatural assistance of comprehending the system of the world and that this new way of understanding the world will lead to a new way of mastering it. Enlightment sought to gain universal recognition for this principle in the natural and intellectual sciences, in physics, and ethics, in the philosophies of religion, history, law, and politics.

LIBERALISM AND THE PRESS
(pp. 43-50)

[…] At least three Englishmen and one American made significant contributions toward this transition : John Milton in the seventeenth century; John Erskine and Thomas Jefferson in the eighteenth; and John Stuart Mill in the nineteenth.

جون ملتون

فالأول وهو ملتون -في كتابه *Areopagitica*- وهو كتاب ظهر في سنة **١٦٤٤**، نجد مناقشات عنيفة لحرية الفكر في النظام الحر، كتبه الرجل تحت شعور بالكراهية لنظام الرقابة على الصحف، وذهب فيه إلى أن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى الصواب في مسألة من المسائل حتى يستمع إلى آراء المخالفين له في هذه المسألة، ذلك أن الحقيقة لا تضمن لنفسها البقاء إلا إذا أتيحت لها الفرصة لأن تتقابل وجها لوجه مع غيرها من الحقائق في صراحة كاملة وحرية تامة. غير أنه كان من رأي ملتون على كل حال، أن يكون حق المناقشة مقصورا على الحكماء والعقلاء وذوي الثقافة العالية والآراء المخلصة، بشرط ألا تكون هذه الآراء خاضعة لرقابة الحكومة. ولم تلق مباديء ملتون ما تستحقه من التشجيع من جانب معاصريه إلا أنها لقيت هذا الرواج أو التشجيع حين عادت إلى الحياة في القرن الثامن عشر، وانتشرت في إنجلترا و أمريكا في غضون ذلك القرن. ص: **١١٧**.

جون رسكين

أما جون رسكين فكان من اشهر المدافعين عن الناشرين والطابعين في القرن الثامن عشر، وكان من اشهر الذين عالجوا مشكلة العلاقة بين الحكومة والطباعة في ذلك القرن، ومن أقواله المأثورة إذ ذاك: إن كل إنسان يسعى لتنوير الآخرين . لا لتضليلهم من حقه أن ينشر كل ما يدور بعقله، وما يختلج ضميره، سواء كان ذلك في الموضوعات الحكومية أو الموضوعات الخاصة. ص: **١١٨**.

John Milton, in the Areopagitica , published in 1644, wrote a majestic argument for intellectual freedom in the libertarian tradition [...].

Milton was personally irritated by the Puritan censorship of his own writings and indicted the theory and practice of licensing . Basic to his argument were the assumptions that man by exercising reason can distinguish between right and wrong, good and bad [...] .

Milton was confident that Truth [...] had unique powers of survival when permitted to assert itself in a « free and open encounter » [...].

Out of Milton have developed the contemporary concepts of « the open marketplace of ideas» and the « self-righting process » : let all with something to say be free to express themselves. The true and sound will survive; the false and unsound will be vanquished.
Government should keep out of the battle and not weigh the odds in favor of one side or the other. And even though the false may gain a temporary victory, that which is true, by drawing to its defense additional forces, will through the self-righting process ultimately survive. Milton recognized that the right of free discussion might be limited but he avoided any general principles on which these limitations might be based.

He wanted freedom from government censorship for serious-minded men who held honest, although differing , opinions.[...].
Because he thought they did not live up to his standards of honesty, he would deny full freedom to Roman Catholics and to the ephemeral journalists of his day.

His powerful appeal for intellectual freedom unfortunately had little effect on his contemporaries, but his work was revived in the eighteenth century and widely circulated in England and America.

[...] In his defense of publishers accused of violating the Law [John Erskine] advanced the libertarian principles of freedom of speech and press . Erskine made his position clear in defending Paine for publishing The Rights of Man : « The proposition which I mean to maintain as the basis of liberty of the press , and without which it is an empty sound, is this : that every man, not intending to mislead , but seeking to enlighten others with what his own reason and conscience, however erreonously, have dictated to him as truth, may address himself to the universal reason of the whole nation, either upon subjects of government in general, or upon that our own particular country ».

جون ستيوارت مل

أما هذا فقد عالج فكرة السلطة وفكرة الحرية من الزاوية التي عرف بها في فلسفته، أو القاعدة التي بنى هذه الفلسفة عليها، وهي «قاعدة المنفعة». و قد ساد القول بالمنفعة في القرن التاسع عشر، و كان من رأي هذا الفيلسوف أن من حق الفرد الناضج في المجتمع أن يفكر و يتصرف كما يشاء ما دام لا يؤذي أحدا بتفكيره و تصرفه، و ما دام هذا التفكير و التصرف يؤدي إلى منفعته، و من رأي ستيوارت مل كذلك أن جميع التصرفات الإنسانية يجب أن تهدف إلى البناء والوصول إلى حياة أفضل وسعادة أكبر ذلك أن المجتمع الفاضل هو المجتمع الذي يتمتع فيه أكبر عدد من أفراده بأعلى ما يمكن من درجات السعادة والرفاهية، ولكي يضمن المجتمع مساهمة أفراده في تحقيق هذا الهدف عليه أن يمنحهم الحق كل الحق في أن يفكروا بأنفسهم ولأنفسهم، ويصلوا إلى ما شاءوا من قرارات في سبيل هذا الهدف.

ومن الشعارات التي اتخذها ستيوارت مل في كتبه قوله : (١) إذا أسكت رأيا فقد أخفيت حقيقة. (٢) الرأي الخطأ قد يحوي بذورا للحقيقة : ومن الجائز أن يؤدي إليها كاملة. والرأي الصائب كثيرا ما تسيء الجماهير ظنا به ولا ترجع الجماهير عن هذا الاعتقاد إلا إذا اضطرت إلى الدفاع عنه. (٣) الآراء الصائبة ما لم تعارض من الآخرين بين حين وحين فقدت حيويتها وتأثيرها على نفوس المواطنين وسلوكهم.

إذا آمن كل البشر برأي، وجاء فرد واحد برأي جديد يخالفه، ثم حاولت البشرية جمعاء أن تسكت هذا الرأي كان خطؤها في ذلك لا يقل عن خطأ الفرد الواحد حين تصبح له سلطة تامة وحاول إسقاط الرأي الذي اجتمعت عليه البشرية. ص: ١١٨-١١٩.

John Stuart Mill approached the problem of authority versus liberty from the viewpoint of a nineteenth-century utilitarian.
For Mill, liberty was the right of the mature individual to think and act as he pleases so long as he harms no one else by doing so.
All human action, said Mill , should aim at creating , maintaining, and increasing the greatest happiness for the greatest number of persons ; for the good society is one in which the greatest possible number of persons enjoy the greatest possible amount of happiness.
One of the main ways for society to insure that its members will contribute moste to this end is by giving them the right to think and act for themselves .

Translating this general ideas on liberty to the specific liberty of expression , Mill presents four basic propositions .
First ,if we silence an opinion , for all we know, we are silencing truth .
Secondly , a wrong opinion may contain a grain of truth necessary for finding the whole truth .
Third, even if the commonly accepted opinion is the whole truth, the public tends to hold it not on rational grounds but as a prejudice unless it is forced to defend it .
Last , unless the commonly held opinion is contested from time to time , it loses its vitality and its effect on conduct and character .

جفرسون

أما جفرسون الأمريكي فكان فيلسوفا وسياسيا في وقت معا، وكان يؤمل دائما في إيجاد حكومة تكفل الأمن، وتمنح الفرص المتكافئة للأفراد في المجتمع، وكان يعلم أن الأفراد قد يخطئون في التفكير، ولكنه يعلم ايضا أن في وسع الأغلبية العظيمة أن تصل إلى قرارات حكيمة مادامت تقرأ الصحف، وما دامت الصحف هي المصدر الرئيسي للمعلومات التي يحصل عليها الفرد في المجتمع. وفي مقابل هذا الواجب الملقى على عاتق الصحافة يجب أن يكون لها حق واضح في الحرية ونصيب كبير منها، ومن هنا لا ينبغي -في نظر جيفرسون- أن تكون الصحافة خاضعة لرقابة الحكومة، وليس من حق الحكومة في هذ الحالة أكثر من رسم الإطار العام لحياة الأفراد لكي يصلوا إلى تحقيق أهدافهم الخاصة والعامة، ومن هنا كذلك يرى جفرسون أن الحكومة التي لا تصمد لمواجهة النقد ينبغي لها أن تسقط وتفتح الطريق لحكومة أخرى، ذلك أن القوة الحقيقية لكل حكومة إنما تكمن وراء استعدادها أو قدرتها على مقابلة النقد برحابة صدر.

وبالرغم من كل هذه الجهود فإن تخليص الصحافة من نير السلطة في كل من انجلترا وأمريكا لم يتم في يوم وليلة بل استغرق هذا العمل قرونا بأكملها ! ص: ١١٩-١٢٠.

Thomas Jefferson was both a philosopher and a statesman [...] he hoped to create a government which would provide both security and opportunity for the individual.

Jefferson was firmly convinced that, although individual citizens may err in exercising their reason, the majority as a group would inevitably make sound decisions.
To facilitate this process, the individuals in a society should be educated and informed ; hence Jefferson's interest in the instruments of education.
For the mature individual, the press was an essential source of information and guidance , and in order properly to perform its function in a democracy, the press should be free from control by the state.

Jefferson concluded that the principal function of government was to establish and maintain a framework within which the individual could pursue his own ends .
[...] In his Second Inaugural Address, he even proclaimed that a government which could not stand up under criticism deserved to fall and that the real strength of the federal government was its willingness to permit and its ability to withstand public criticism.

[...] The transfer of the mass media from authoritarian to libertarian principles in England and America was not accomplished overnight but over several centuries.

المذهب الحر والصحافة

رأينا كيف قامت نظرية الحرية على تأكيد قيمة الفرد من حيث هو فرد، ورأينا كيف قامت هذه النظرية على فكرة الحقوق الطبيعية للإنسان، وهي الحقوق التي منها حرية العبادة، وحرية التعبير أو الصحافة. وهذه الحرية الأخيرة تقوم في الواقع على طائفة من الفروض أو التصورات منها ما يلي:

أولا: أن الإنسان من حقه أن يتعرف على الحقيقة، وأن يسعى إليها ويهتم بها في كل وقت.

ثانيا: أن الوسيلة الوحيدة للوقوف على الحقيقة هي أن تعرض في المناقشات الحرة المفتوحة، فإذا تضاربت الآراء في هذه المناقشات فلا ضرر من ذلك في الواقع. إذ الحقيقة – كما ذهب إلى ذلك ستيوارت مل – لا يمكن ن تظهر إلا إذا عوضت (عورضت ؟) من جهات شتى، ويتضح ذلك بدرجة أكبر في الفقرة التالية:

ثالثا : أن الآراء وإن اختلفت اختلافا بعيدا أو قريبا فإنه ينبغي أن يتاح لكل ذي رأي فرصة يعرض فيها رأيه، ويحاول إقناع الآخرين به ما استطاع ووسط هذه الخلافات – مهما بلغت حدتها – يستطيع الرأي الصائب أن يظهر ويتغلب على غيره. ذلك هو المعنى الدقيق للديمقراطية التي آمن الناس بها إيمانا تاما منذ القرن السابع عشر إلى يومنا هذا، ومن أجل ذلك وجدنا أن سلطان الدولة على الصحافة أخذ يضعف شيئا فشيئا في أواخر القرن الثامن عشر. وأصبح الإشراف المطلق من جانب الحكومة على الصحف أمرا لا يلائم روح العصر، وبذلك انفتح الباب على مصراعيه لظهور هذه النظرية الجديدة التي هي نظرية الحرية، وإذ ذاك تخلى كل من التاج والكنيسة عن مبدإ تنظيم الصحافة، ومع هذا وذاك فقد شاب الغموض أكثر القوانين التي صدرت إذ ذاك في كل من إنجلترا وأمريكا ونصت في صراحة تامة على حرية الصحافة.

[...]

Eighteenth-century English jurists made the first attempt to define the limits of freedom of the press .
Two eminent English judges, Lors Mansfield and Chief Justice Blackstone, advanced an interpretation based on conservative British tradition. [...].
Both considered censorship in the form of licensing to be illegal [...].
Blackstone's statement , widely circulated in the American states , summarizes the eighteenth-century legalistic position : «The liberty of the press is indeed essential to the nature of a free state , but this consists in laying no previous restraints upon publications, and not in freedom from censure for criminal matter when published. Every free man has an undoubted right to lay what sentiments he pleases before the public ; to forbid, this is to destroy the freedom of the press ; but if he publishes what is improper, mischievous, or illegal , he must take the consequences of his own temerity ... thus the will of individuals is still left free ; the abuse only of that free-will is the object of legal punishment.
Neither is any restrain hereby laid upon freedom of thought or inquiry ; liberty of private sentiments is still left ; the disseminating , or making public, of bad sentiments , destructive of the ends of society, is the crime which society corrects » [...].

STATUS AND FUNCTION OF THE MASS MEDIA IN DEMOCRATIC SOCIETIES (pp. 50-57)
THE PRESS IN MODERN LIBERTARIAN THEORY (pp. 57-62)

We now turn from the theory behind the functioning of the press under libertarian principles to a discussion of the operation of the mass media in contemporary society.
Great Britain, the United States , and some of the British Dominions follow a common pattern in what has been described as the Anglo-American tradition.[...].
Let us look at the operation of the mass media in the United States .
The twentieth century has been faced with the problem of applying the libertarian theory to contemporary problems of the mass media. Whatever contribution has been made has grown out of experiences in two world wars and out of the development and expansion of the new media of communication such as motion pictures and broadcasting.

During the two world wars, the immediate problem was to establish principles governing the dissemination of expressions which might interfere with the immediate objective of the government-winning the war.

وسرعان ما أصبحت هذه القوانين عرضة لتفسيرات كثيرة وتأملات مختلفة، غير أن المتفق عليه اتفاقا ضمنيا أنه يجب أن تكون هذه الحرية مقيدة ببعض القيود، كما سنشرح ذلك فيما يلي :

مدى ما تتقيد به الصحافة الحرة

جاءت المحاولة الأولى لتفسير هذه القيود وتبريرها من جانب الإنجليز على يد اثنين من قضاتهم، هما « لورد مانسفيلد » رئيس القضاة الإنجليز، و» مستر بلا كستون » وقد اشترك الرجلان في وضع تفسير لهذه القيود على أساس من التقاليد المعروفة بميلها الشديد إلى روح المحافظة، واتفق الرجلان على أن الرقابة على الصحف عن طريق التراخيص الصحفية أمر غير قانوني. ثم صرحا بعد ذلك بأن إشراف القانون أو رقابته ضرورية في حالة واحدة فقط، هي سوء استخدم حرية الصحافة.

ولخص بلاكستون وجهة نظره في إحدى الوثائق التي نشرها قائلا: «إن حرية الصحافة تعتبر حقا من حقوق الافراد في المجتمع الديمقراطي ولكن ليس معنى هذا عدم فرض الرقابة على مواد يعتبر نشرها جريمة بل معناه فقط عدم تطبيق القيود القديمة على المطبوعات، فكل رجل حر في عرض ما يشاء من أفكار وآراء ومشاعر على الجمهور، فإذا حرمنا هذا الرجل من هذا الحق هدمنا بهذا العمل حرية الصحافة من أساسها، أما إذا عمد هذا الشخص إلى نشر مواد غير لائقة، أو مواد ضارة بالمجتمع، أو مواد خارجة على القانون فعليه أن يتحمل نتيجة جرأته. ومع ذلك فإرادة الأفراد يجب أن تحترم دائما، ولكن سوء استخدام هذه الإرادة هو الذي يقع تحت طائلة القانون. معنى هذا أنه ليس هناك قيود على حرية التفكير أو البحث أو الكتابة، وأن الخطأ الوحيد الذي يجب على المجتمع أن يتجنبه ويحاربه هو محاولة تحطيم أهداف الفرد أو أهداف المجتمع. ذلك إذن هو مدى القيود على وسائل الإعلام في حقيقة الأمر.

Pure libertarian doctrine made no provision for the cataclysmic effects of a world-wide war or, for that matter, a local war .
In a vague way, libertarians had granted that a government had the right to protect itself from destruction under special circumstances, but they had made no reasoned analysis of how far a state might go in curtailing liberty of expression in wartime
During World War I, the government set up a system for censoring outgoing and incoming messages, but it made not attempt to muzzle the mass media within the territorial boundaries of the United States.
A system of volountary censorship was put into operation with the cooperation of the mass media, principally the newspapers and magazines.
The same system with improved procedures was adopted during World War II, this time including radio.
An important contribution growing out of wartime experiences was the attempt by the Supreme Court of the United States to define the limits of free discussion in a democracy.
Members of the court recognized that under special conditions such as a major war the traditional freedoms of the individual must yield to the immediate objective.
The problem was to find a formula [...] . Authoritarian governments were, of course ,unconcerned about this problem [...]. During the war, the Supreme Court took the position that if there was a reasonable tendency for discussion to obstruct the war effort, such discussion could be declared a crime and its participants punished.
Liberal thinkers and legal scholars rushed to criticize the court for departing from traditional libertarian principles, and shortly after the war the court changed its mind by adopting the formula originally proposed by Justices Brandeis and Holmes .[...]
This formula has become known as the clear and present danger test.
Both Holmes and Brandeis recognized the need for some restriction on freedom of speech and press during national emergencies [...].
They rejected the «reasonable tendency» test in favor of one which would allow a wider latitude of freedom [...].
Their solution was to restrict government interference with freedom of expression except under circumstances here there was an urgent danger to the objectives of the state [...].

(تلي عناوين بقية مقاطع نص فراد سيبرت الأربعة)

MOTION PICTURES IN CURRENT LIBERTARIANISM
(pp. 62-64).

BROADCASTING IN LIBERTARIAN THEORY
(pp. 64-67).

THE LIBERTARIAN PRESS ELSEWHERE IN THE WORLD
(pp. 67-70).

SUMMARY
(pp. 70-71).

هكذا نجد أنه كان أمام أوربا و أمريكا في القرن العشرين مشكلة في غاية الخطورة، و هذه المشكلة هي تطبيق نظرية الحرية على وسائل الإعلام الموجودة، و نحن نعلم أن نشوب الحربين العالميتين اللتين شهدهما هذا القرن قد أفضى إلى تطور عظيم في وسائل الإعلام الحديثة، و يكفي أن نذكر السينما و الراديو و التلفزيون، و قد كان على الحكومات الغربية خلال هاتين الحربين أن تفكر في الطرق التي تحد بها من نشر الآراء الضارة بأهداف الدولة، ولا ريب أن كسب الحرب كان من أهم هذه الأهداف ما لم يكن أهمها على الإطلاق. ومهما يكن من أمر فن النظريات القائمة على الحرية لم تهتم اهتماما كافيا بالطرق التي تحد من نشر الآراء الهدامة والأفكار الضارة بالحكومات والشعوب، اللهم إلا في حالة واحدة فقط هي حالة نشوب الحرب. صحيح أن تلك النظريات القائمة على الحرية تنص على أن من حق الحكومات أن تتخذ لنفسها بعض الإجراءات الوقائية في مثل الظروف العصبية التي أشرنا إليها محالة الحرب، ولكن ما هي هذه الإجراءات ؟

في خلال الحرب العالمية الأولى وضعت الحكومة الأمريكية نظاما يقضي بفرض الرقابة على الرسائل التي ترد إلى الولايات المتحدة والتي تخرج منها، غير أن ذلك لا يعني أن الحكومات الأمريكية حاولت تكميم الأفواه، أو الضغط على وسائل الإعلام أو تهديد الضعف. و يقول الدارسون لتاريخ تلك البلاد إن الحكومة الأمريكية لم تطبق إذ ذاك إلا نظام الرقابة الذي يقوم على الاختيار، وعلى الود، وعلى الصداقة وحسن التفاهم. وكثيرا ما كان هذا الاختيار بطريقة الاتفاق بين الحكومة ورؤساء التحرير ونحوهم. ثم في الحرب العالمية الثانية مضت الحكومة الأمريكية في تطبيق هذا النظام القائم على الاختيار مع فارق بسيط من حيث الإجراءات التي أصبحت أكثر فاعلية. ففي أثناء هذه الحرب خضعت الإذاعة لرقابة الحكومة. و كانت ثم طريقة أخرى للحد من حرية الصحافة مارستها

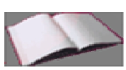
الحكومات الأمريكية، وهذه الطريقة هي إنشاء ما سمى هناك باسمي « مجلس أعلى للصحافة ». وناقش هذا المجلس مشكلة حرية الصحافة في وقت الحرب، واشترك في المناقشة رؤساء التحرير وكبار الإذاعيين. واتفق الجميع على أن الرقابة في مثل هذه الظروف تصبح ضربا من التأمين للدولة بل تصبح واجبا عليها لا يمكن أن تتخلى عنه.

هكذا يظهر لنا الفرق الكبير بين الحكومة الآخذة بنظرية السلطة، والحكومات الآخذة بنظرية الحرية.

(فالأولى) لا تجد صعوبة ما في وضع ما تشاء من الحدود والقوانين الصارمة التي تحد من حرية الإعلام في وقت الحرب أو السلم. (والثانية) تجد الحرج كل الحرج في التفكير في وضع هذه الحدود أو القوانين. ومن هنا يتضح لنا السبب الذي من أجله لجأت الحكومات الأمريكية إلى فكرة إنشاء « مجلس أعلى للصحافة ». وتركت لهذا المجلس أن يصدر ما يشاء من قرارات يعاقب بها كل من يحاول إثارة المناقشات التي تسيء إلى أمور خطيرة كالخطط الحربية ونحوها، وبالفعل نظر هذا المجلس الأعلى إلى مثل هذه المناقشات على أنها جريمة تجعل مرتكبيها تحت طائلة القانون، ولكن ليس معنى هذا وذاك أن المجلس الأعلى للصحافة كان يهدف إلى الحد من حرية الفرد، بل الحق يقال إنه كان يهدف دائما إلى الحد من تدخل الحكومات والتخفف من الرقابة التي تفرضها على وسائل الإعلام.

ضربنا المثل هنا بالولايات المتحدة والغرض من ذلك أن نضع بين أيدينا نموذجا من تصرفات الحومة الديمقراطية في ظل المذهب الحر، وفي الفصل الآتي نتحدث عن هذا المذهب الحر في مصر. ص: **١٢٠-١٢٤**.

انتهى النص العربي.



الفهرس

الليبرالية في كتابات الإعلام الإسلامية العربية

الملحقات

الملحق الأول

الملحق الثاني

الملحق الثالث

مراجع البحث

- الإعلام له تاريخه ومذاهبه؛ عبد اللطيف حمزة .... دار الفكر العربي، القاهرة؛ ١٩٦٥ م.
- الخبر الصحفي وضوابطه الإسلامية؛ كرم شلبي .... دار الشروق، جدة؛ ١٩٨٨ م.
- الكتاب المقدس .... نشرة جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى.
- المسؤولية الإعلامية في الإسلام؛ محمد سيد محمد ...... المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر؛ ١٩٨٦ م.
- رسالة البابا المسماة دِيفِينِي رِيدَامْتُورِيسْ *Divini Redemptoris* .... صدرت سنة ١٩٣٧م
- نهاية التاريخ والإنسان الأخير؛ فْرَانْسِيسْ فُوكُويَامَا مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان؛ ١٩٩٣م.
- فن الخبر الصحفي؛ فاروق أبو زيد .... ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر؛ ١٩٨٦ م.
- في الحرية؛ جون ستيوارت ميل .... مطابع شركة الإعلانات الشرقية. سلسلة "إخترنا لك" رقم: ٦٤.
- في سبيل إعلام إسلامي. إعلامنا إلى أين ؟ علي محمد جريشة .. دار الإرشاد، الجزائر؛ ١٩٩٠ م.
- كيف تسللت الليبرالية إلى العالم الإسلامي ؟ ....عن "الفكر الاجتماعي في مصر" للبطوش.
- مدخل إلى علوم الإعلام والاتصال؛ زهير إيحدادن .... ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر؛ ١٩٩١ م.
- مستقبل الصحافة في مصر، تأليف عبد اللطيف حمزة .... دار الفكر العربي. سنة ١٩٦١م.
- مقدمة في علم الاتصال؛ نبيل عارف الجردي .... مكتبة الإمارات ـ العين؛ ١٩٨٥ م.

- *A.B.C du protestantisme. J. Baubérot et J-P Villaine. Labor et Fides, Genève, 1990.*
- *Actes de Léon XIII – Libertas- Lettre Encyclique - Sur la liberté humaine (1888). Maison de la bonne presse. Paris. Non daté.*
- *Bible, mythes et récits de commencement; P. Gilbert . Seuil, Paris; 1986.*
- *Dictionnaire Encyclopédique Larousse.*
- *Encyclopaedia Universalis.*
- *Epistolae on Tolerancia ; John Lock. - Lettre sur la tolérance ; John Locke.*
- *Four Theories of the Press; F. Siebert; T. Peterson; and W. Schramm. Urbana University of Illinois Press; 1963.*

- *Institutes of The Christian Religion ; John Calvin. A translation by Henry Beveridge. Christian Classics Ethereal Library, Grand Rapids, MI. Public Domain .*
- *Institution de la religion chrétienne ; Jean Calvin . Kyregma et Farel , Imprimé aux Etats-Unis d'Amérique; 1978 .*
- *Institution de la religion chrétienne ; Jean Calvin . Nouvelle edition – Soigneusement revue et corrigée sur l'édition française de 1560 . Genève, E. Beroud et Cie, Editeurs ; Paris, Librairie de la Suisse française ; 1888.*
- *La doctrine Sociale de l'Eglise ; Mgr Guerry. Bonne Presse ; 1959.*
- *La génèse du Nouveau Testament ; C. F. D. Moule. Ed. .Delachaux –Nestlé.*
- *La Presse dans la Société Contemporaine Bernard Voyenne . 2° éd; P.U.F.*
- *Le Judaïsme , Josy Eisenberg. Ed. J. Grancher ; Coll. Ouverture, 1989.*
- *Le Pentateuque , débat et recherches, CERF, Paris 1992.*
- *Milton and the English Revolution; C. Hill. Faber & Faber, London; 1977.*
- *Saint Paul et la culture grecque; N. Hugedé. Labor & Fides, Genève, 1966.*
- *Thomas Jefferson and the foundation of freedom; Saul K. Padover. Fawcett Edition, New York, 1965.*

هذا الكتاب ...

تُرَاجعُ صفحات هذا الكتاب من قضية الارتقاء الذي يتمنّع عن المسلمين فكرة أنّ اتّباع الغرب في أسباب تمدّنه أو تبنّي منهجه الليبرالي قد يكون منفذاً للمسلمين إلى الارتقاء.

امتدت هذه المراجعة إلى كتابات الفلاسفة وقادة الرأي التي أَسَّسَتْ الليبراليةَ فبيّنت أنهم يردّون المسلمين إلى القرآن ويقرّون برفعة « آداب » الإسلام وينقلون منها لذويهم قاعدة المسلمين بأنّ "كلّ والٍ يستكفي عاملاً وفي ولايته من هو أكفأ له، فقد خان ...".

بيّنت هذه المراجعة أنّ المقاصد الكبرى التي جهر بها فلاسفة الليبرالية أو " آباؤها " تضم السعي إلى تأليف نظام أخلاقي للنصارى، وتخليصهم من قيود اللاّهوت ... وبيّنت اجتهاد فلاسفة الليبرالية في الدفاع عن دِينهم وحماية الكتاب المقدس.

بيّنت هذه المراجعة أيضاً انشغالاً في الكتابات العربية والإسلامية بتجريد الليبرالية من اللاّهوت في مثل سعي إلى تبرئتها من الدِّين على غير ما وجدوا في كتابات الغربيين سواء تلك التي أعلنوا أنهمٍ رجعوا إليها أو تلك التي أنكروا الاستناد إليها بينما استقوا منها كثيراً كما تكشفه هذه المراجعة.

أخيراً فإنّ هذه المراجعة تثبت أنّ كتابات المسلمين أنفسهم في الليبرالية رافدٌ قوي من روافد تمنّع الارتقاء عن المسلمين.

جمال الدين فيلالي

djamel-filali@hotmail.com

fylely@gmail.com